

المتماثل فى القرآن

لمؤلفه المحقق

على غضنفرى

الشكر

من لم يشكر المنعم

من المخلوقين لم يشكر الله عزّ وجلّ^١

اشكر استاذنا الجليل العالم العامل الناطق، الذى تعلّم القرآن وعلمه آناء الليل واطراف النهار من غير كلل ولا ملل، الشيخ الكبير، ابوالشهيد، صاحب الفضل والفضيله سماحة آيه الله معرفت مدظله العالى. الذى اتحفنى طوال مدة اعدادى لهذه الرسالة، فإليه خالص شكرى؛ فجزاه الله عنى خير جزاء المحسنين ونرجو من الله تعالى الرحمة والغفران للماضين من اساتذتى والتوفيق والسداد للباقيين منهم.

^١ - عيون اخبار الرضا عليه السلام ، ج ٢ ، ص ٢٤ .

الاهداء

إليك يا رسول الله

هذا الجهد المتواضع، صلى الله

عليك وعلى أهل بيتك الطيبين الطاهرين

الهي لا تعذب لسانا يُخبر عنك ولا عينا تنظر إلى وحيك ولا فوداً

تفكر في آلائك ولا يدا تكتب تبين كلامك ولا قدما تمشي في خدمتك. برحمتك وعفوك

يا اله العالمين ويا ارحم الراحمين

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل القرآن هدى للناس والبيّنات من الهدى والفرقان الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، الذي تجلّى بذاته على ذاته فتنزّه من مجانسة مخلوقاته وتجلّى باسمائه وصفاته على سائر مصنوعاته.

والصلوة والسلام على ملائكته وانبيائه سيّما من ارسله رحمةً للعالمين وروؤفاً بالمؤمنين، سيد المرسلين ابي القاسم محمّد وعلى أهل بيته الطيّبين من ابن عمه ووارث علمه وخازن اسراره واولاده المعصومين المنتجبين لاسيما ناموس الدهر وامام العصر الحجة الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه و على محبّيه و صحبه الذين اهدتوا بهدايته، ورضوان الله على ساداتنا و مشايخنا و اخواننا الذين سبقونا بالايمان، و اللعن الدائم على اعدائهم و منكريهم و مخالفهم اجمعين الى يوم الدين.

اما بعد، فانّ كلام الله هو اشرف كلام، وعلمه اشرف العلوم ودراسته اشرف وافضل دراسة، والنظر اليه طاعة وقرائته عبادة وتلاوته سعادة وللذنوب كفارة وفي النار ستر وفي القيامة امان وفي الجنة درجة. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «عليك بقراءة القرآن فإنّ قراءته كفارة للذنوب وستر في النار وامن من العذاب»¹.

وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «إنّ درجات الجنة على قدر آيات القرآن، يقال له اقرء

¹ - بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ١٧ .

وارقاء فيقرثم يرقى»^١.

فطوبى لمن جلس على مآدبة القرآن واقبل اليها بجوانحه وجوارحه وبلغ سعيه لأن يستفيد منه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «القرآن مآدبة الله فتعلموا مادبته ما استطعتم»^٢.

واستمسك بحبل الله المتين.

قال ابوالحسن الرضا عليه السلام: «هو (القرآن) حبل الله المتين وعروته الوثقى»^٣.

ويهتدى بالقرآن:

قال على عليه السلام: «القرآن افضل الهدايتين»^٤.

فانه يهتدى للتي هي اقوم:

(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا)^٥.

فهو الطريق الاقوم والاسلوب الاحسن في كل جانب من جوانب الوجود. فهو يتحدث عن آخر شريعة

تكاملت في جميع الجوانب الحياء الذي نزل على خاتم النبيين صلى الله عليه وآله .

ثم

كان في نظري ان احقق في موضوع التماثل في القرآن الكريم وذلك شكراً منى لله تعالى على

ايجاده هذه الالفه التي حصلت بيني وبين القرآن.

^١ - وسایل الشیعه، ج ٤، ص ٤٠ .

^٢ - بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ١٩ .

^٣ - بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ١٤ .

^٤ - غرر الحکم .

^٥ - سورة الاسراء، الآية ٩ .

من خلال البحوث والمواضيع واجهت موضوعاً مهماً؛ لأنّ الناظرين في كتاب الله من الذين لا يتمكنوا او لا يمكن لهم ان يتدبروا جيداً بسبب بعدهم عن اللغة العربية واللطائف الخاصة بها ومن جملة اولئك اعداء الدين الذين لا يجدون اى نقص وايراد في الأصول والفروع للدين الحنيف اغواءً لملتهم واخفاءً لنقائصهم العديدة، يريدون ان يطعنوا على الاسلام والمعجزة الخالدة فيقولون لماذا جاء في القرآن آيات المتماثل؟

فبعد هذا عزمت و توكلت على الله ان ابحت عنه بشكل مفصل و جامع فسميت رسالتي هذا «التمائل في القرآن» وأسأل الله تعالى أن يوفقنا لهذا وأن يدرأ بالحسنة السيئة وان ينظر الينا بعين الود والرحمة والرضا وان يتقبل منا هذا القليل وان يجعله خالصاً لوجه الكريم واسأله تعالى ان يجعله نافعاً لمن اراد الانتفاع به من عباده ان شاء الله تعالى.

وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب

على الغضنفرى

باستقراءنا تبين ان هناك آيات قد تماثلت فنذكرها ونتعرض لآراء بعض المفسرين بشأنها ونبدى رأينا فيها فنقول ان لكل آية معنى يغاير معنى الآية الأخرى اذا لاحظنا سياقها العام أو سبب نزولها أو الدقة فى المعنى اللغوى أو أمور أخرى نذكرها فى محالها انشاء الله.

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قد جاءت هذه الآية مئة واربعه عشرة مرة كما ان صفة الرحمة لله تعالى قد جاءت مرتين فى نفس هذه الآية.

عندما نلاحظ الفرق بين صفتي «الرحمن» و «الرحيم» نلتزم بعدم التكرار فيهما.

قال الطبرسى فى بيان الفرق بين هذين الصفتين:

«لأنَّ الرحمن بمنزلة اسم العلم من حيث لا يوصف به إلاَّ الله فوجب لذلك تقديمه بخلاف الرحيم لأنَّه يطلق عليه وعلى غيره، وروى أبوسعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وآله ان عيسى بن مريم قال: الرحمن، رحمن الدنيا والرحيم، رحيم الآخرة وعن بعض التابعين قال: الرحمن بجميع الخلق والرحيم بالمؤمنين خاصة... والى هذا المعنى يؤم ما روى عن الصادق عليه السلام انه قال: الرحمن اسم خاص بصفة عامَّة والرحيم اسم عام بصفة خاصة.

وعن عكرمه قال: الرحمن برحمة واحدة والرحيم بمئة الرحمة، وهذا المعنى قد اقتبس من قول الرسول: ان لله عزوجل مئة رحمة وأنه انزل منها واحدة إلى الأرض فقسما بين خلقه يتعاطفون ويتزاحمون واخر تسعا وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيمة»^١.

واما علة تكرار الآية فى اول كل سورة الا فى سورة التوبة فقد اختلف علماء الاسلام

^١ - تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ٥٤.

فذهب بعض على أنها آية مستقلة من كل سورة والدليل على هذا اثباتها في المصحف قبل كل سورة وعند شروعيها وهذا جيد بعد ان نسمع من رسول الله صلى الله عليه وآله امره بتجريد القرآن عن كل ما ليس منه، وللروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام والسيرة المستمرة على قرائتها وقراءة النبي صلى الله عليه وآله . وذهب بعض على أنها آية من الفاتحة دون غيرها وهناك أقوال آخر شاذة لا يعابها.

فعلى فرض أنها آية مستقلة كما هو رأينا كذلك نقول في سبب تكرارها:
الرحمن هي صفة تشير الى الرحمة الالهية الشاملة للمؤمن والكافر والرحيم هي صفة الهية تختص بعبد المؤمن دون الكافر والدليل على ذلك ذكر صفة الرحمن في القرآن بصورة مطلقة بينما ذكر صفة الرحيم مقيدة في بعض الآيات.
ولما روى عن الإمام الصادق عليه السلام: «والله اله كلُّ شيءٍ الرَّحْمَنُ بجميع خلقه والرحيم بالمؤمنين خاصة»^١.

فتعم صفتا «الرحمن والرحيم» جميع الكون وتشمل جميع الموجودات فكل ما خلق الله تعالى فبرحمته خلق، ورحمته وسعت كل شيء، فهما من أهم الأوصاف بل هما أصل كل صفة لله تعالى في الحياة الدنيوية والأخروية.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «انَّ لله عزَّوجلَّ مئةَ رحمةٍ وأنَّه انزل منها واحدةً بين الجن والإنس والبهائم واخرت تسعة وتسعين لنفسه يرحم بها عباده»^٢.

هذا، مع ان كل سورة قد وردت فيها «البسمة» انصبغت بصيغة السورة المباركة.

وأما تكرارها في سورة النمل في كتاب سليمان النبي عليه السلام الى بلقيس.

^١ - بحار الأنوار، ج ٨٥، ص ٥١.

^٢ - بحار الأنوار، ج ٦، ص ٢١٩.

(إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) .^١

فهذه الايه هي تمام الهدف من ارسال الكتابة الى ملكة سبا فهي رغم قصرها تضمنت الإشارة الى الصانع الحكيم الحيّ القادر خلافا لما زعمت ملكة سبا و قومها فهم يسجدون للشمس، فلفظة «الله» وحدها جامعة لجميع صفاته تعالى كما ان رحمته العامة تدل على حياته وقدرته و... .

(الرحمن الرحيم)^٢

بعد اجماع المسلمين واتفاق المفسرين على ان «البسملة» جزء من سورة الحمد، فهذه الآية «الرحمن الرحيم» هي الآية الثانية من الآيات المكررة في القرآن.

فهي جاءت لبيان أوصاف الله تعالى في ضمن بعض الأوصاف الأخرى نحو «رب العالمين» و «مالك يوم الدين» بخلاف ما في البسملة كما قلت في سبب تكرارها.

ثم لا يبعد ان نقول بأن الله تعالى قد اشار الى رحمته الواسعة قبل التكلم عن يوم القيمة، فهو تعالى «رحمن ورحيم» قبل ان يكون «مالك يوم الدين».

(الم)

الحروف المقطعة من فواتح السور في القرآن من المتشابهات القرآنية، فهي وان كان المفسرون قد اتبعوا انفسهم في تفسيرها وصنفوا كتباً في هذا الموضوع ولكنها من الأسرار التي لا يعلمها الا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله فهي من الرموز التي كانت بينهما.

ومع هذا قضية التكرار في هذه الحروف أيضاً من العلوم التي لا يعلم تفسيرها ولا تأويلها الا الله ورسوله ولا ينبغي الخوض في موضوع لا يمكن أن نقول فيه شيئاً الا على سبيل الاحتمال.

(أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) .^٣

(أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) .^٤

^١ - سورة النمل، آية ٣٠ .

^٢ - سورة الحمد، آية ٢ .

^٣ - سورة البقرة، آية ٥ .

^٤ - سورة لقمان، آية ٥ .

الآية الأولى اشارت الى المتقين (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) والثانية اشارت الى المحسنين «هدى ورحمة للمحسنين».

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)¹.

(وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)².

فان الحكم شامل لجميع الكفار فى آية البقرة، وذلك بملاحظة الاطلاق فى (ان الذين كفروا) فى الأولى.

ولكن الحكم يختص ببعض الكفار فى آية يس بملاحظة قوله تعالى فى ما قبلها (لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون) فبعض منهم يتبعون الذكر و يخشون الرحمن بالغيب.

فقال الطبرسى فى شأن نزول آية البقرة:

«قيل نزلت فى أبي جهل وخمسة من أهل بيته قتلوا يوم بدر... وقيل نزلت فى قوم باعياهم من احبار اليهود ممن كفر بالنبي عناداً وكنتم امره حسداً عن ابن عباس، وقيل نزلت فى أهل الختم والطبع الذين علم الله انهم لا يؤمنون عن أبيعلى الجبائى، وقيل نزلت فى مشركى العرب عن الأصم، وقيل هى عامة فى جميع الكفار... وأختار الشيخ أبو جعفر قدس الله روحه ان يكون على الاختصاص وتجوز كل واحد من الأقوال الآخر وهذا أظهر وأسبق الى الفهم»³.

وقال صاحب الميزان فى تفسير الآية الأولى:

«وأيضاً هذا التعبير إنما وقع فى سورة يس وهى مكية، وفى هذه السورة وهى سورة البقرة أول سورة نزلت فى المدينة، نزلت ولم تقع غزوة بدر بعد، فالاشبه ان يكون المراد من الذين كفروا ههنا وفى سائر الموارد من كلامه تعالى: كفار مكة فى أول البعثة إلا ان تقوم قرينة على خلافه»⁴.

¹- سورة البقرة، آية ٦.

²- سورة يس، آية ١٠.

³- تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ٩٣.

⁴- تفسير الميزان، ج ١، ص ٥٥.

(وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ) ١.
(وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) ٢.
قال الطبرسى فى تفسير الآية الأولى:

«إذا لقوا الذين آمنوا يعنى المنافقين اذا رأوا المؤمنين قالوا آمنا... وقيل هم اليهود» ٣ ولكن الأول مطابق لسياق الآية كما ترى.

وقال فى تفسير الآية الثانية:

«روى عن أبيجعفر الباقر عليه السلام أنه قال: كانوا قوماً من اليهود وليسوا من المعاندين المتواطئين اذا لقوا المسلمين حدثوهم بما فى التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وآله فيها هم كبرائهم عن ذلك وقالوا لا تخبروهم بما فى التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وآله فيحاجوكم به عند ربكم فنزلت هذه الآية. قال مجاهد نزلت فى بنى قريضة لما قال لهم النبى صلى الله عليه وآله : يا اخوة القردة والخنازير، قالوا من أخبر محمد صلى الله عليه وآله بهذا؟ ما خرج الا منكم، وقال السدى: هوأء ناس من اليهود، آمنوا ثم نافقوا فكانوا يحدثون المؤمنين من العرب بما عذب به اسلافهم، فقال بعضهم لبعض:

اتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليحاجوكم به فيقولون نحن أكرم على الله منكم» ٤.

فقد نقلنا هذا بتفصيله حتى يعلم كم من فرق بين الآيتين وما يقول المفسرون فى سبب نزولهما.

(صُمُّ بِكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) ٥.

(... صُمُّ بِكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) ١.

١ - سورة البقرة، آية ١٤ .

٢ - سورة البقرة، آية ٧٦ .

٣ - تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ١٠٧ .

٤ - تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ٢٧٢ .

٥ - سورة البقرة، آية ١٨ .

الآية الأولى وصف للمنافقين فذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون.
والآية الثانية قد وصفت الكفار فهم كمثل الذي ينفق بما لا يسمع الا دعاءً ونداءً.
(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ)^٢

(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْتَمْتُمْ مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)^٣.
ان الضمير في «مثله» يرجع الى القرآن كله ولا يمكن ان يرجع الى السورة التي جاءت في ضمنها
الآية، لأنه سيكون التحدى حينئذ لغواً، بل مستهجناً وذلك مثل ان نقول: ان كنتم في ريب من سورة
الحمد، فأتوا بسورة البقرة.

«من» في «من مثله» للتبعيض ولما كانت البقرة سورة مهمة في القرآن وهي اول سورة نزلت بالمدينة
وسورة ثانية على الترتيب الفعلي التي رتبها رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته المباركة، جاءت
الآية ب «فأتوا بسورة من مثله» حتى يعلم ان التحدى لم يكن منحصرأ في البقرة بل يعم جميع السور
القرآنية.

(الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)^٤.

(وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ)^٥.

الآية الأولى تصف الفاسقين المضلين، وأنهم الخاسرون في يوم القيامة، والآية الثانية بعد ان ذكرت فيها
السعداء وأحوالهم والأوصاف التي بها يستحقون الجنة، تبعها الله تعالى بذكر الاشقياء وأحوالهم الدنيئة

^١ - سورة البقرة، آية ١٧١ .

^٢ - سورة البقرة، آية ٢٣ .

^٣ - سورة يونس، آية ٣٨ .

^٤ - سورة البقرة، آية ٢٧ .

^٥ - سورة رعد، آية ٢٥ .

واستحقاقهم النار.

(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِ كَعِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)¹.
(وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكِ كَعِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ
السَّاجِدِينَ)².

(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِ كَعِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا)³.
(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِ كَعِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنِ أَمْرِ رَبِّهِ
أَفْتَخَذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا)⁴.
(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِ كَعِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى)⁵.
(... فَفَعُوا لَهُ سَجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَكِ كَعِ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ
الْكَافِرِينَ)⁶.

هذه الآيات كلها قد جاءت في سياق بيان قصة رفض سجود الشيطان لآدم عليه السلام وكلما تكرر
هذا المقطع من القصة يأتي بأمور جديدة لم تذكر من قبل.

(وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا
مِنَ الظَّالِمِينَ)⁷.
(وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ
الظَّالِمِينَ)⁸.

¹ - سورة البقرة، آية ٣٤.

² - سورة الأعراف، آية ١١.

³ - سورة الاسراء، آية ٦١.

⁴ - سورة كهف، آية ٥٠.

⁵ - سورة طه، آية ١١٦.

⁶ - سورة ص، آيات ٧٢ الى ٧٤.

⁷ - سورة البقرة، آية ٣٥.

⁸ - سورة الأعراف، آية ١٩.

لفظة «اسكن» في البقرة بمعنى الإقامة وهي تستدعي زماناً ممتداً فيلزم عطف «كلا» هنا بالواو، أي أجمع بين الإقامة والأكل، فلو جاءت الآية بالفاء، لوجب تأخير الأكل الى الفراغ من الإقامة لأنّ الفاء للترتيب والتعقيب.

أما الذي في الأعراف فهو بمعنى «السكنى» أي اتخذ موضعاً للسكنى لأنّ الله تعالى قد أخرج ابليس من الجنة ثمّ أمر آدم وحواء بان يتخذها مسكناً لهما، فكان العطف بالفاء أولى وأنصب، لأنّ الاتخاذ لا يستدعي زماناً ولا يمكن ان يجمع مع الأكل، بل لا بدّ ان يقع الأكل بعد اتخاذها مسكناً لهما. (فَازَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ)^١.

(قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)^٢.
قال الطبرسي في تفسيره مجمع البيان:

«اختلف في تكرار الهبوط فقيل: الهبوط الأوّل من الجنة الى السماء، وهذا الهبوط (الثاني) من السماء الى الأرض عن أبي علي، وقيل أنّما كرر للتأكيد، وقيل أنّما كرر لإختلاف الحالين فقد بين بقوله «وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدوٌّ» أنّ الابهاط أنّما كان في حال عداوة بعضهم لبعض، وبين قوله «قلنا اهبطوا منها جميعاً، فأما يأتينكم منّي هدى» أنّ الابهاط انما كان للابتلاء والتكليف كما يقال: اذهب سالماً معافى، اذهب مصاحباً، وان كان الذهاب واحداً لأختلاف الحالين^٣.

وقد ضعّف الرازي في تفسيره الوجه الأوّل من هذه الوجوه وقال:

«قال الجبائي الهبوط الأوّل غير الثاني، فالأوّل من الجنة الى سماء الدنيا، والثاني من سماء الدنيا الى الأرض، وهذا ضعيفٌ من وجهين، أحدهما: أنّه قال في الهبوط الأوّل «ولكم في الأرض مستقرٌّ» فلو كان الاستقرار في الأرض أنّما حصل بالهبوط الثاني، لكان ذكر قوله «ولكم في الأرض مستقرٌّ»

^١ - سورة البقرة، آية ٣٦ .

^٢ - سورة البقرة، آية ٣٨ .

^٣ - تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ١٧٩ .

ومتاع» عقيب الهبوط الثاني اولى. «وثانيهما: أنه قال في الهبوط الثاني «اهبطوا منها» والضمير في «منها» عائد الى الجنة وذلك يقتضى كون الهبوط الثاني من الجنة»^١.
الوجه الثاني من الوجوه التي ذكرها الطبرسي وهى التأكيد، فهو يستلزم التكرار فى القرآن مع ان السياق لا يساعده فلا نقول به.

واما الوجه الثالث من هذه الوجوه وهو اختلاف الحالين، ضعيف أيضاً، لأن عداوة بعض لبعض لا تتصور الا فى ضمن التكاليف والابتلاآت بها فهما حال واحد.
والفخر الرازى بعد تضعيفه للوجه الأول وبيان وجه الثاني قال:

«وعندى فيه وجه ثالث أقوى من هذين الوجهين وهو ان آدم وحواء لما اتيا بالزلة، امرا بالهبوط، فتابا بعد الأمر بالهبوط ووقع فى قلبهما ان الأمر بالهبوط لما كان بسبب الزلة فبعد التوبة وجب ان لا يبقى الأمر بالهبوط، فاعاد الله تعالى الأمر بالهبوط مرة ثانية ليعلما ان الأمر بالهبوط ما كان جزاءً على ارتكاب الزلة حتى يزول بزوالها، بل الأمر بالهبوط باق بعد التوبة لأن الأمر به كان تحقيقاً للوعد المتقدم فى قوله (انى جاعل فى الأرض خليفه)»^٢.

وقال الطباطبائى فى تفسيره الميزان:

«وانت اذا تدبرت هذه القصة (قصة الجنة) وخاصة ماوقع فى سورة طه، وجدت ان الاستفادة منها ان جريان القصة أوجب قضائين منه تعالى فى آدم وذريته، فأكل الشجرة أوجب حكمه تعالى وقضائه بالهبوط والاستقرار فى الأرض والحياة فيها، تلك الحياة الشقية التى حذرا منها حين نهيا عن اقتراب الشجرة هذه.

وان التوبة ثانياً: تعقب قضاءً وحكماً ثانياً منه تعالى باكرام آدم وذريته بالهداية الى العبودية، فالمقضى أولاً كان نفس الحياة الأرضية، ثم بالتوبة طيب الله تلك الحياة بأن ركب عليها الهداية الى العبودية،

^١ - تفسير الكبير، ج ٣، ص ٢٩.

^٢ - تفسير الكبير، ج ٣، ص ٢٩.

فتألف الحياة من حياة أرضية وحياة سماوية»^١.

انّ الذي كُنّا بصدده هو إثبات وجود معاني متعددة للآيات القرآنية المتماثلة وقد تبين ذلك من آراء المفسرين.

(قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)^٢.
(قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى)^٣.

الآيتان جائتا لبيان قضايا جديدة لم تذكر فيما مضى.

(يَسْبِي إِسْرًا ءِئِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ فَارْهَبُونِ)^٤.
(يَسْبِي إِسْرًا ءِئِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنْتِي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ)^٥.
(يَسْبِي إِسْرًا ءِئِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنْتِي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ)^٦.

نقل المفسرون في سبب تكرار هذه الآيات وجوه.

فقال الرازي في تفسيره للآية الأولى:

«أعلم أنّه تعالى أعاد هذا الكلام مرّة أخرى توكيداً للحجّة عليهم وتحذيراً من ترك اتباع محمد صلي الله عليه [وآله] وسلم ثمّ قرنه بالوعيد»^٧.

وقال الطبرسي:

«فان قيل فما الفائدة في تكرار قوله: «يا بني اسرئيل اذكروا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ»؟ قلنا: لأنّه لما كانت نعم الله هي الأصل فيما يجب شكره، احتيج الى تأكيدها، كما يقول القائل، اذهب اذهب،

^١ - تفسير الميزان، ج ١، ص ١٣٦.

^٢ - سورة البقرة، آية ٣٨.

^٣ - سورة طه، آية ١٢٣.

^٤ - سورة البقرة، آية ٤٠.

^٥ - سورة البقرة، آية ٤٧.

^٦ - سورة البقرة، آية ١٢٢.

^٧ - تفسير الكبير، ج ١، ص ٥٦.

عَجَّلَ عَجَلًا، وَقِيلَ أَيْضًا أَنَّ التَّذْكَيرَ الْاَوَّلَ وَرَدَ مَجْمَلًا وَالتَّانِي وَرَدَ مَفْصَلًا، وَقِيلَ أَنَّهُ فِي الْاَوَّلِ ذَكَرَهُمْ نِعْمَةً عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَفِي التَّانِي ذَكَرَهُمْ نِعْمَةً عَلَى آبَائِهِمْ»^١.
وَقَالَ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ الثَّلَاثَةِ:

«قِيلَ فِي سَبَبِ تَكَرُّرِهَا ثَلَاثَةَ أَقْوَالٍ، أَحَدُهَا: إِنَّ نِعْمَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لَمَا كَانَتْ أَصُولَ كُلِّ نِعْمَةٍ كَرَّرَ التَّذْكَيرَ بِهَا مِبَالِغَةً فِي اسْتِدْعَائِهِمْ إِلَى مَا يَلْزِمُهُمْ مِنْ شُكْرِهَا، لِيَقْبَلُوا إِلَى طَاعَةِ رَبِّهِمْ الْمَظَاهِرَ نِعْمَةً عَلَيْهِمْ، وَثَانِيهَا: أَنَّهُ لَمَّا بَاعَدَ بَيْنَ الْكَلَامِينَ حُسْنَ التَّنْبِيهِ وَالتَّذْكَيرَ وَالإِعَادَةَ وَالتَّكْرِيرَ ابْلَاغًا لِلْحُجَّةِ وَتَأْكِيدًا لِلتَّذْكَرَةِ.

ثَالِثُهَا: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمَّا ذَكَرَ التَّوْرَةَ وَفِيهَا الدَّلَالَةُ عَلَى شَأْنِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي النُّبُوَّةِ وَالبِشَارَةِ بِهِمَا، ذَكَرَهُمْ نِعْمَةً عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ وَمَا فَضَّلَهُمْ بِهِ كَمَا عُدَّ النِّعَمَ فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ وَكَرَّرَ قَوْلَهُ «فَبَأَى آلَاءِ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ» فَكُلَّ تَفْرِيعٍ جَاءَ بَعْدَ تَفْرِيعٍ، فَإِنَّمَا هُوَ مَوْصُولٌ بِتَّذْكَيرِ نِعْمَةٍ غَيْرِ الْاَوَّلِي، وَالثَّلَاثَةُ غَيْرِ الثَّانِيَةِ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، وَكَذَلِكَ الْوَعِيدُ فِي سُورَةِ الْمُرْسَلَاتِ، بِقَوْلِهِ «وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» أَمَّا هُوَ بَعْدَ الدَّلَالَةِ عَلَى أَعْمَالِ تَعْظِيمِ التَّكْذِيبِ بِمَا تَدْعُو إِلَيْهِ الْأَدْلَةُ»^٢.

(وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)^٣.

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)^٤.

الْآيَةُ فِي الْبَقْرَةِ نَهَى فِيهَا عَنِ التَّبَاسِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ وَكُتْمَانِ الْحَقِّ وَالْآيَةُ فِي آلِ عِمْرَانَ تَخْبِرُ عَنِ نَقْضِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِيثَاقَهُمْ وَخَلَطَهُمُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَكُتْمَانَهُمُ الْحَقَّ.

(وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ)^٥.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)^١.

^١ - تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ١٩٩.

^٢ - تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ٣٧١.

^٣ - سورة البقرة، آية ٤٢.

^٤ - سورة آل عمران، آية ٧١.

^٥ - سورة البقرة، آية ٤٥.

للصبر معان عديدة بحسب مورده وله دور فعال فى انبعاث الناس وتحريكهم نحو القوس الصعودى وارتقاء المدارج العالية الاخلاقية والإيصال الى المطلوب، ولهذا السبب فقد تكرر فى القرآن الكريم أكثر من ستين مرة.

أما الصلاة فهى ركن ركين، وعمل عبادى رفيع لا يدانيه عمل، فهى أول فعل يسئل عنه يوم القيامة من بين الأفعال، وتكرارها فى القرآن الكريم فى مواضع متعددة وبعبارات مختلفة له وجه وجيه. مع ان الآية الأولى قد جاءت خلال آيات تتحدث عن بنى اسرائيل والثانية خطاب للمؤمنين ونزلت بعد امره تعالى بالذكر والشكر له.

(وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ)^٢.

(وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ)^٣.
قال رشيد رضا فى تفسير الآية الثانية:

«وقد تقدم فى تفسير الآيات الأولى ما يبنى عن الإطالة هنا وليس فى هذه زيادة فى المعنى إلا أن التعبير قد اختلفت تفننا، فى الآية الأولى تقدم ذكر الشفاعة منفية القبول، وتأخر ذكر العدل غير مأخوذ، وفى هذه الآية نفي قبول العدل أولاً ثم نفي نفع الشفاعة ثانياً، وكأنه يشير بهذا التفنن الى أنه لا فرق بين الفداء والشفاعة فى الجواز والمنع فمن منع العوض فى الآخر لزمه منع الشفاعة، فان جوزها جوزة»^٤.

^١ - سورة البقرة، آية ١٥٣ .

^٢ - سورة البقرة، آية ٤٨ .

^٣ - سورة البقرة، آية ١٢٣ .

^٤ - تفسير المنار، ج ١، ص ٤٥١ .

ولكن قال الرازى فى وجه تكرار الآيتين بملاحظة التقدم والتأخر فى بعض كلماتها نذكره مفصلاً لما فيه من الفائدة.

«أن الله تعالى قدم فى هذه الآية قبول الشفاعة على أخذ الفدية وذكر هذه الآية فى هذه السورة بعد العشرين والمائة وقدم قبول الفدية على ذكر الشفاعة فما الحكمة فيه؟ الجواب ان من كان ميله إلى حب المال أشد من ميله إلى علو النفس فإنه يقدم التمسك بالشافعين على إعطاء الفدية ومن كان بالعكس يقدم الفدية على الشفاعة ففائدة تغيير الترتيب الإشارة إلى هذين الصنفين: ولنذكر الآن تفسير الألفاظ: أما قوله تعالى «لا تجزى نفس عن نفس شيئاً» فقال القفال: الأصل فى جزى هذا عند أهل اللغة قضى ومنه الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لأبى بردة بن يسار «تجزيك ولا تجزى احداً بعدك» هكذا يرويه أهل العربية «تجزيك» بفتح التاء غير مهموز أى تقضى عن أضحيتك وتنوب، ومعنى الآية ان يوم القيامة لا تنوب نفس عن نفس شيئاً ولا تحمل عنها شيئاً مما أصابها بل يفر المرء فيه من أخيه وأمه وأبيه ومعنى هذه النيابة أن طاعة المطيع لا تقضى على العاصى ما كان واجباً عليه وقد تقع هذه النيابة فى الدنيا كالرجل يقضى عن قريبه وصديقه دينه ويتحمل عنه، فأما يوم القيامة فإن قضاء الحقوق إنما يقع فيه من الحسنات. روى أبوهريرة قال: قال عليه السلام: «رحم الله عبداً كان عنده لأخيه مظلمة فى عرض أو مال أو جاء فاستحله قبل أن يؤذ منه وليس ثم دينار ولا درهم فإن كانت له حسنات أخذ من حسناته وإن لم يكن له حسنات حمل من سيئاته» قال صاحب الكشاف و«شيئاً» مفعول به ويجوز أن يكون فى موضع مصدر أى قليلاً من الجزاء كقوله تعالى «ولا يظلمون شيئاً» ومن قرا «لا يجزى» من أجزأ عنه إذا اغنى عنه فلا يكون فى قراءته إلا بمعنى شيئاً من الإجزاء تقديره تجزى فيه ومعنى التنكير أن نفساً من الأنفس لا تجزى عن نفس غيرها شيئاً من الأشياء وهو الإقنات الكلى القطاع للمطامع، أما قوله تعالى «ولا يقبل منها شفاعة» فالشفاعة أن يستوهب أحد لأحد شيئاً ويطلب له حاجة وأصلها من الشفع الذى هو ضد الوتر، كان صاحب الحاجة كان فرداً فصار الشفيع له شفعاً أى صار أزواجاً. وأعلم ان الضمير فى قوله «ولا يقبل منها» راجع إلى النفس الثانية العاصية وهى التى لا يؤذ منها عدل، ومعنى لا يقبل منها شفاعة إنها إن

جاءت بشفاعه شفيع لا يقبل منها، ويجوز ان يرجع إلى النفس الأولى، على أنها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزى عنها شيئاً. أما قوله تعالى «ولا يؤذ منها عدل» أى فدية، وأصل الكلمة من معادلة الشيء تقول: ما أعدل بفلان أحداً، أى لا أرى له نظيراً قال تعالى «ثم الذين كفروا بربهم يعدلون» ونظيره هذه الآية قوله تعالى «إن الذين كفروا لو أن لهم ما فى الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم» وقال تعالى «إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به» وقال «إن تعدل كل عدل لا يؤذ منها»^١.

(وَإِذْ نَجَّيْنَاهُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَا لِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ)^٢.

(وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَا لِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ)^٣.

(... إِذْ أَنْجَلَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَا لِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ)^٤.

الذبح نوع من القتل، وبما ان «يذبحون» فى سورة البقرة كان تفسيراً لما قبله «العذاب» فلا يحتاج الى «الواو» ولكن هذه اللفظة فى سورة إبراهيم هى نوع آخر من العذاب، فالعذاب على شكلين أما سوء العذاب وأما الذبح، فيحتاج الى الواو.

وأما علة تكرار هذه الآيات بعد ما فيها من التغاير، فهى لبيان جزئيات أخر من قصة موسى عليه السلام.

(وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا

^١ - تفسير الكبير، ج ٣، ص ٥٩.

^٢ - سورة البقرة، آية ٤٩.

^٣ - سورة الأعراف، آية ١٤١.

^٤ - سورة إبراهيم، آية ٦.

وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ^١ .

(... وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ^٢ .

الآيتان جائتا فى ضمن بيان وجوه مختلفة من القصة، مع ان فى الآيه الثانية أخبار عن نعم جديدة منحها الله تعالى لبني اسرائيل، فالله تعالى فجر العيون المتعدده عند كظهم العطش وأصابهم الظمأ حينما ساروا فى طريقهم الى بيت المقدس.

(وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ^٣ .

(وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ^٤ .

فى هذه الآيات:

- ١ - عطف «كلوا» بالفاء فى سورة البقرة و بالواو و فى سورة الأعراف، لأنّ الدخول «ادخلوا» سريع الانقضاء فيتبعه الأكل، بخلاف السكون «اسكنوا» فانه يستدعى زمانا فيعطف بالواو.
- ٢ - جمعت الخطيئة فى البقرة ب«خطايا» و فى الأعراف ب«خطيئات» فالخطايا جمع مكسر موضوعة للكثير، بينما خطيئات جمع سالم، فلما اخبر الله تعالى عن نفسه «واذقلنا» ذكر ما يليق بكرمه واتى بلفظ يبين سعة رحمته ومغفرته، ولكن لما لم يذكر الفاعل «واذ قيل» وان كان الفاعل نفسه تعالى أتى بالجمع السالم على الأصل وانسجاماً مع القواعد النحوية.

^١ - سورة البقرة، آية ٥٧ .

^٢ - سورة الأعراف، آية ١٦٠ .

^٣ - سورة البقرة، آيتى ٥٨ و ٥٩ .

^٤ - سورة الأعراف، آيتى ١٦١ و ١٦٢ .

٣ - ذكر كلمه «رغداً» فى البقرة بخلاف الأعراف فإنه لم يذكر فيها وذلك لما اسند الله تعالى الفعل الى نفسه فى البقرة وبما أنه منعم كريم، فينبغي ان يمنح نعماً كثيرةً فجاءت لفظه رغداً.

٤ - تقديم «حطه» على الدخول «ادخلوا الباب» فى الأعراف وتأخيرها عنه فى البقرة، لبيان لزوم الاستغفار قبل العمل وبعده، فإنهم مكلفون بأن يطهروا قلوبهم من الذنوب قبل دخولهم بيت المقدس وبعده... الى غير ذلك من الاختلافات فى الحروف والكلمات فى هذه الآيات، نعم جاء تكرار هذه المفاهيم والمعانى فى هذه الآيات من أجل انارة زوايا جديدة فى قصة موسى عليه السلام مع قومه.

(وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)١.

(وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَىٰ عَشْرَةَ أُسْبَاطًا أُمَّمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَلَهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَّ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)٢.

الآيتان تسلطان الضوء على جوانب أخرى من القصة.

(... ذَا لِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَا لِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ)٣.

(إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)٤.

(... ذَا لِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَا لِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ)٥.

١ - سورة البقرة، آية ٦٠.

٢ - سورة الأعراف، آية ١٦٠.

٣ - سورة البقرة، آية ٦١.

٤ - سورة آل عمران، آية ٢١.

٥ - سورة البقرة، آية ٦١.

(فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفِّرْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتَلْتُمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا)¹.

أما جاء التكرار في هذه الآيات من أجل بيان الأفعال المختلفة لنبياسرائيل في ضمن قصتهم.
(إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَرَى وَالصَّبِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)².

(إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّبِينَ وَالنَّصَرَى مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)³.

(إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّبِينَ وَالنَّصَرَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)⁴.

لاحظنا موضعين للتكرار في هذه الآيات، الأول تكرار الإيمان في الآيتين الأولىين، فالمراد بالذين آمنوا في صدر الآية الذين يؤمنون بالله إيماناً ظاهرياً والمراد به في خلال الآية الإيمان الواقعي. والموضع الثاني تكرار مفهوم واحد في الآيات، فذكر في آية الحج التمايز والانفصال بين اليهود والصابئين والنصارى والمجوس يوم القيامة فهي يوم الفصل ويوم افتراق الحق من الباطل فالله تعالى فصل الذين آمنوا من الخمسة الذين لا يؤمنون وهم اليهود والصابئين والنصارى والمجوس والمشركين. وأما الآيتان الأولىتان فالآية الثانية منهما نزلت بعد آية:

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَلَا نَجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)⁵.

¹ - سورة النساء، آية ١٥٥ .

² - سورة البقرة، آية ٦٢ .

³ - سورة المائدة، آية ٦٩ .

⁴ - سورة الحج، آية ١٧ .

⁵ - سورة المائدة، آية ٦٨ .

قال ابن عباس فى سبب نزولها: أنه جاء جماعة من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: الست تقرّ بان التوراة من عند الله؟ قال بلى. قالوا: فانّا نون بها ولا نون بما عداها، فنزلت الآية. والآية التالية عليها (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا...) تقرر هذه الحقيقة وان الأمم كلها لا تنجوا الا اذا آمنت بالله وبيوم الحساب وعملت عملاً صالحاً. والآية الاولى قيل نزلت فى سلمان الفارسى وقصته، قال الطبرى فى تفسيره للآية قصة جميلة نذكرها مفصلاً.

«حدثنى موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط بن نصر، عن السدى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا» الآية، قال: نزلت هذه الآية فى أصحاب سلمان الفارسى، وكان سلمان من جُنْدِيسَابُور، وكان من أشرفهم، وكان ابن الملك صديقاً له مواخياً، لا يقضى واحد منهم أمراً دون صاحبه، وكانا يركبان إلى الصيد جميعاً. فبينما هما فى الصيد إذ رفع لهما بيت من عباء، فأتياه فإذا هما فيه برجل بين يديه مصحف يقرأ فيه وهو يبكى، فسألاه ما هذا، فقال: الذى يريد أن يعلم هذا لا يقف موقفكما، فإن كنتما تريدان أن تعلمما ما فيه فانزلا حتى أعلمكما، فنزلا إليه، فقال لهما: هذا كتاب جاء من عند الله، أمر فيه بطاعته، ونهى عن معصيته، فيه: أن لا تزنى، ولا تسرق، ولا تأخذ أموال الناس بالباطل. فقصّ عليهما ما فيه، وهو الإنجيل الذى أنزل الله على عيسى. فوقع فى قلوبهما وتابعاه فأسلما، وقال لهما: إن ذبيحة قومكما عليكم حرام، فلم يزالا معه كذلك يتعلمان منه، حتى كان عيد للملك، فجعل طعاماً، ثم جمع الناس والأشراف، وأرسل إلى ابن الملك فدعاه إلى صنيعة ليأكل مع الناس، فأبى الفتى وقال: إني عنك مشغول، فكل أنت وأصحابك، فلما أكثر عليه من الرسل، أخبرهم أنه لا يأكل من طعامهم، فبعث الملك إلى ابنه، فدعاه وقال: ما أمرك هذا؟ قال: إنا لا نأكل من ذبائحكم، إنكم كفار ليس تحلّ ذبائحكم، فقال له الملك: من أمرك بهذا؟ فأخبره أن الراهب أمره بذلك، فدعا الراهب فقال: ماذا يقول ابني؟ قال: صدق ابنك، قال له: لولا أن الدم فينا عظيم لقتلتك، ولكن اخرج من أرضنا! فأجّله أجلاً. فقال سلمان: فقمنا نبكى عليه، فقال لهما: إن كنتما صادقين، فينا فى بيعة بالموصل مع ستين رجلاً نعبده الله فيها، فأتونا فيها. فخرج الراهب، وبقي سلمان وابن

الملك؛ فجعل يقول لابن الملك: انطلق بنا، وابن الملك يقول: نعم، وجعل ابن الملك يبيع متاعه يريد الجهاز. فلما أبطأ على سلمان، خرج سلمان حتى أتاهم، فنزل على صاحبه وهو ربّ البيعة، وكان أهل تلك البيعة من أفضل الرهبان، فكان سلمان معهم يجتهد في العبادة، ويتعب نفسه، فقال له الشيخ: إنك غلام حدث تتكلف من العبادة مالا تطيق، وأنا خائف أن تفتت وتعجز، فارتفق بنفسك وخفف عليها فقال له سلمان: رأيت الذي تأمرني به أهو أفضل، أو الذي أصنع؟ قال: بل الذي تصنع؟ قال: فخلّ عني. ثم إن صاحب البيعة دعاه فقال: أتعلم أن هذه البيعة لي، وأنا أحق الناس بها، ولو شئت أن أخرج هواء منها لفعلت؟ ولكني رجل أضعف عن عبادة هواء، وأنا أريد أن أتحوّل من هذه البيعة إلى بيعة أخرى هم أهون عبادة من هواء، فإن شئت أن تقيم ههنا فأقم، وإن شئت أن تنطلق معي فانطلق. قال له سلمان: أيّ البيعتين أفضل أهلاً؟ قال: هذه. قال سلمان: فأنا أكون في هذه. فأقام سلمان بها وأوصى صاحب البيعة عالم البيعة بسلمان، فكان سلمان يتعبد معهم، ثم إن الشيخ العالم أراد أن يأتي بيت المقدس، فقال لسلمان: إن أردت أن تنطلق معي فانطلق، وإن شئت أن تقيم فأقم. فقال له سلمان: أيهما أفضل أنطلق معك أم أقيم؟ قال: لا بل تنطلق معي. فانطلق معه فمروا بمقعد على ظهر الطريق ملقى، فلما رآهما نادى: يا سيد الرهبان ارحمني يرحمك الله، فلم يكلمه، ولم ينظر إليه، وانطلقا حتى أتيا بيت المقدس، فقال الشيخ لسلمان: أخرج فاطلب العلم فإنه يحضر هذا المسجد علماء أهل الأرض. فخرج سلمان يسمع منهم، فرجع يوماً حزيناً، فقال له الشيخ: مالك يا سلمان؟ قال: أرى الخير كله قد ذهب به من كان قبلنا من الأنبياء وأتباعهم، فقال له الشيخ: يا سلمان لا تحزن، فإنه قد بقي نبيّ ليس من نبيّ بأفضل تبعاً منه وهذا زمانه الذي يخرج فيه، ولا أراني أدركه، وأما أنت فشاب لعلك أن تدركه، وهو يخرج في أرض العرب، فإن أدركته فأمن به واتبعه! فقال له سلمان: فأخبرني عن علامته بشيء. قال: نعم، هو مختوم في ظهره بخاتم النبوة، وهو يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة. ثم رجعا حتى بلغا مكان المقعد، فناداهما فقال: يا سيد الرهبان ارحمني يرحمك الله، فعطف إليه حماره، فأخذ بيده فرفعه، فضرب به الأرض ودعا له، وقال: قم بإذن الله، فقام صحيحاً يشتدّ، فجعل سلمان يتعجب وهو ينظر إليه يشتدّ. وسار الراهب فتغيب عن سلمان ولا يعلم سلمان. ثم إن

سلمان فزع فطلب الراهب، فلقية رجلان من العرب من كلب فسألهما: هل رأيتما الراهب؟ فأناخ أحدهما راحلته، قال: نعم راعى الصرمة هذا، فحملة فانطلق به إلى المدينة. قال سلمان: فأصابني من الحزن شيء لم يصبنى مثله قط. فاشترته امرأة من جهينة فكان يرعى عليها هو و غلام لها يتراوحان الغنم هذا يوماً وهذا يوماً، فكان سلمان يجمع الدراهم ينتظر خروج محمد صلى الله عليه وآله فيينا هو يوماً يرعى، إذ أتاه صاحبه الذي يعقبه، فقال: أشعرت أنه قد قدم اليوم المدينة رجل يزعم أنه نبي؟ فقال له سلمان: أقم في الغنم حتى آتيك. فهبط سلمان إلى المدينة، فنظر إلى النبي صلى الله عليه وآله ودار حوله، فلما رآه النبي صلى الله عليه وآله عرف ما يريد، فأرسل ثوبه، حتى خرج خاتمه، فلما رآه أتاه وكلمه، ثم انطلق، فاشترى بدينار ببعضه شاء وببعضه خبزاً، ثم أتاه به، فقال: «ما هذا؟» قال سلمان: هذه صدقة قال: «لا حاجة لي بها فأخرجها فليأكلها المسلمون». ثم انطلق فاشترى بدينار آخر خبزاً ولحماً، فأتى به النبي صلى الله عليه وآله، فقال: «ما هذا؟» قال: هذه هدية، قال: «فأقعد» فقعد فأكلا جميعاً منها. فيينا هو يحدثه إذ ذكر أصحابه، فأخبره خبرهم، فقال: كانوا يصومون ويصلون ويؤنون بك، ويشهدون أنك ستبعث نبياً؛ فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم قال له نبياً لله صلى الله عليه وآله: «يا سلمان هم من أهل النار». فاشتد ذلك على سلمان، وقد كان قال له سلمان: لو أدركوك صدقوك واتبعوك، فأنزل الله هذه الآية: «إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصْرَى وَالصَّبِيْنَ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ»^١

(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)^٢
(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِئِ اِيْمَانِكُمْ اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)^٣
(وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا

^١ - تفسير جامع البيان، ج ١، ص ٢٥٤.

^٢ - سورة البقرة، آية ٦٣.

^٣ - سورة البقرة، آية ٩٣.

مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا).^١

مضافاً الى وجود التغيرات فى الفاظ الآيات فما كرّر منها انما هو لاجل بيان بعض جوانب قصتهم من عبادة العجل و دخول الباب سجدا و احكام يوم السبت و...

(وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَلَقْنَا لَهُمْ كُفُورًا مِمَّا كَفَرُوا وَتَوَلَّوْا عَنَّا وَكُفُّوا عُنَىٰ رَبِّكَ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ)^٢.

(فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهَوُّوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُفُورًا مِمَّا كَفَرُوا وَتَوَلَّوْا عَنَّا وَكُفُّوا عُنَىٰ رَبِّكَ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ)^٣.

تكرار مفهوم واحد فيها لبيان جوانب مختلفة للقصة الواحدة.

(وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)^٤.

(ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ)^٥.

ان اليهود سمّوا انفسهم ابناء الله ويعتقدون بأنهم شعب الله المختار وسائر الناس خدم لهم، ويزعمون بأن لهم حصانة خاصة فلا يعاقبون يوم القيمة الا أياماً قليلة معدودة ويتمتعوا بعدها بالجنة التى هيأها الله تعالى لهم فحسب دون غيرهم. فالله تعالى فى الآية الأولى قد أشار الى علة تحريفهم لكلام الله ونفاقهم وأنهم اميون وأنهم ينسبون كلامهم الى الله تعالى وأنهم المغرورون وكانوا يدعون بان لهم فضلاً على سائر الناس.

وفى الآية الثانية أشار الله تعالى الى علة اعراضهم عن الحق المتمثل بالحكم الثابت للزناة وأشار الله تعالى الى السبب الذى دعاهم للعصيان وهو الممثل فى الطبيعة العنصرية الحاكمة على سلوكهم.

قال الطبرسى فى تفسيره:

«قال ابن عباس ومجاهد: قدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة واليهود تزعم ان مدّة الدنيا سبعة

^١ - سورة النساء، آية ١٥٤

^٢ - سورة البقرة، آية ٦٥.

^٣ - سورة الأعراف، آية ١٦٦.

^٤ - سورة البقرة، آية ٨٠.

^٥ - سورة آل عمران، آية ٢٤.

الآف سنة وإنما يعذب بكل الف سنة يوماً واحداً ثم ينقطع العذاب فأنزل هذه الآية، وقال أبو العالية وعكرمة وقتادة: هي أربعون يوماً لأنها عدد الايام التي عبدوا فيها العجل»^١.

وفي علة الأفراد والجمع في لفظه «معدودة» يمكن ان يقال جاءت الآية في سورة البقرة على نحو الاختصار، فالمناسب ان يأتي بهذه اللفظة مفردة، وجاءت الآية في سورة آل عمران على نحو التفصيل فالمناسب ان يأتي بهذه اللفظة بصيغة الجمع.

(قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ *
وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ)^٢.

(قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)^٣.

ففي سورة البقرة كان ادعاء اليهود بأنهم سيدخلون الجنة قطعاً وأنها لهم لا لغيرهم فاقترض ان يكون الرد بلفظ مؤد فجاء بلفظة «لن» وأما في سورة الجمعة زعم هؤلاء القوم بأن الجنة تختص بهم من دون اعتقادهم بذلك فجاءت الآية لنفي زعمهم بلفظة «لا».

ووجه آخر، ان اليهود يدعون دخولهم الجنة في الآخرة فجاء نفي اعتقادهم بلفظة «لن» وهي من الحروف التي تفيد النفي الابدى، ولكن في سورة الجمعة يدعون أنهم اولياء الله من دون الناس في حياتهم الدنيوية فجاء النفي بلفظة «لا» التي تدل على نفي الحال.

وأما علة تكرار هذه الآيات فهو لبيان وقاحة زعم اليهود بأنهم امّة فوق الأمم وأنهم خلقوا من عنصر وحيد في نوعه وهم ابناء الله وخاصته فرداً على هذه المزاعم الفاسدة والاعتقادات الواهية في الأزمنة المتمادية جاءت الآيتان في سورة البقرة وهي على حسب النزول سورة ٨٧ من القرآن وسورة الجمعة وهي على الترتيب ١٠٩ .

^١ - تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ٢٨٠ .

^٢ - سورة البقرة، آيتي ٩٤ و ٩٥ .

^٣ - سورة الجمعة، آية ٦ .

(مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)¹.
(يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)².

الآيتان تكشفان عن حقد أهل الكتاب لجماعة المؤمنين، وتكشفان عن شمول الرحمة الإلهية لهم وان رحمته تختص لمن يشاء من عباده، والنعم الإلهية من النبوة تختص من عباده من يراه جديراً بها، ولكن نزولهما لسببين وهما:

روى ان بعض الصحابة يطلبون من رسول الله صلى الله عليه وآله عند تلاوة الآيات القرآنية أن يتمهل في حديثه حتى يستوعبوا ما يقوله وكانوا يستعملون لذلك لفظة «راعنا» اي امهلنا، واليهود قد حرفوا هذه العبارة ويستعملونها بمعنى «اجعلنا رعناء» ويجعلونها وسيلة للسخرية، فنزلت الآية الأولى وكشف الله تعالى عن أساس هذا العمل وهو حقدهم النفسى الدفين.

وأما الآية الثانية فقد نزلت عند تواطئ اليهود ضد الإسلام، فبعض منهم تعاهدوا ان يصبحوا عند رسول الله صلى الله عليه وآله ويتظاهروا باعترافهم بالإسلام، ثم عند المساء يرتدون عن دينهم ويقولون ما رأينا في هذا النبي من صفاته وسلوكه ما يتطابق مع ما فى كتبنا، فهذا تتزعزع عقيدة المسلمين فيه. فقد كشفت آية آل عمران عن هذه الخطة الهدامة.

(وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قٰنِتُونَ)³.

قد نزلت مثل هذه الآية مفهوماً آيات فى سورة يونس، ٦٦؛ يوسف، ٢١؛

١- سورة البقرة، آية ١٠٥ .

٢- سورة آل عمران، آية ٧٤ .

٣- سورة البقرة، آية ١١٦ .

الاسراء، ١١١؛ الكهف، ٤؛ مريم، ٨٨، ٩١، ٩٢؛ الأنبياء، ٢٦؛ الفرقان، ٢؛ القصص، ٩؛ الزمر، ٤؛ الجن، ٣ وفي غير هذا من الآيات القرآنية قد نفى الله سبحانه عن نفسه ان يكون له ولد وقد مرّ البحث عن اهمية نفى الشرك وان الشرك ليس بمذهب واعتقاد بل هو تجاوز على الفطرة الالهية التي جبلت على الايمان بالله وحده لا شريك له، بالاضافة الى ما بين هذه الآيات من اختلاف فى اسباب نزولها والالفاظ المستعملة فيها.

(... وَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ).^١

قد جاء هذا المفهوم فى سورة آل عمران، ٤٧؛ مريم، ٣٥؛ يس، ٨٢؛ غافر، ٦٨ والمراد من الأمر «إذا قضى امرأ» وان كان مطلقاً ولكن كل امرٍ كان مناسباً لما قبله، وفى آية البقرة المراد منه تكوين السموات والأرض وفى آية آل عمران خلق عيسى عليه السلام من ام لم يمسه بشراً، وقس على هذا بعد ملاحظة سياق هذه الآيات كلها.

(... وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)^٢.

(... وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ)^٣.

(... وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ)^٤.

فقد منع الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله من اتباع اليهود والنصارى بعد العلم الذى حصل له صلى الله عليه وآله والهدف الاساسى من ذلك، ان يتنبه الناس كلهم الى عدم وجود تمييز بينهم فى اطار القوانين الالهية.

المراد من «الاهواء» فى الآية الأولى ملّة أهل الكتاب التى سميتوها الدين الالهى، والمراد منه فى الثانية قولهم عند تغيير القبلة تعصبا لقبلتهم التى هى بيت المقدس، والمراد منه فى الثالثة اقتراحهم على النبى ان يأتى بغير هذا القرآن وطمعهم لتبعية الرسول عن أحكامهم المنسوخة.

^١ - سورة البقرة، آية ١١٧ .

^٢ - سورة البقرة، آية ١٢٠ .

^٣ - سورة البقرة، آية ١٤٥ .

^٤ - سورة الرعد، آية ٣٧ .

(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ)¹.

(يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا)².

(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ)³.

(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا)⁴.

شهادة الرسول على جميع الأمم وبشارته للمهتدين والانذار منه للعاصين هي المهام الاساسية للرسول صلى الله عليه وآله فقد نزلت هذه الآيات في كل موضع لبيان الموقف المتشدد من طلبات المعاندين، ففي البقرة طلب الجاهلون منه صلى الله عليه وآله ان يكلمهم الله أو تنزل عليهم آية، وفي الأحزاب جاءت الآية بعد فضيه زواج النبي صلى الله عليه وآله بمطلقة «زيد بن حارثة» ردًا للعرف الجاهلي، وفي سورة فاطر جاءت الآية بعد قلق النبي صلى الله عليه وآله من عدم ايمان المعاندين الذين هم كالموتى فى القبور، وفي الفتح جاءت الآية بعد انتقاد بعض عمّا وقع فى الحديبية انتقاداً لاذعاً، فالله تعالى عظم نبيه وايد رسوله.

(رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)⁵.

(كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ)⁶.

(لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)⁷.

¹- سورة البقرة، آية ١١٩ .

²- سورة الأحزاب، آية ٤٥ .

³- سورة فاطر، آية ٢٤ .

⁴- سورة الفتح، آية ٨ .

⁵- سورة البقرة، آية ١٢٩ .

⁶- سورة البقرة، آية ١٥١ .

⁷- سورة آل عمران، آية ١٦٤ .

(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)¹.

انَّ العبارتين «يتلوا» «يعلمهم» ليس من التكرار لما من الفرق بين التلاوة والتعليم.

قال صاحب مجمع البيان:

«هذا لا يعد من التكرار لأنه خصَّ الأوَّل بالتلاوة ليعلموا بذلك أنه معجز دال على صدقة ونبوته، وخصَّ الثاني بالتعليم ليعرفوا ما يتضمنه من التوحيد وادلته وما يشتمل عليه من أحكام شريعته»².

أما تقدّم التزكية على التعليم في ثلاث من الآيات لاهميتها وتقدم التعليم في الآية الواحدة لمطابقة السير الطبيعي فإذا لم يحصل التعليم لا يمكن أن تحصل التزكية والتزكية متوقفة على التعليم أولاً.

أما قضية تكرار المفهوم الواحد في أربع آيات، فالآية الأولى، هو دعاء إبراهيم عليه السلام وابنه وتضرعهما إلى رب العالمين عند ما رفع إبراهيم القواعد من البيت، والآية الثانية هي أخبار الله سبحانه عن النعمة التي حلت بالمسلمين ببركة وجود النبي الخاتم صلى الله عليه وآله، والآية الثالثة نزلت بعد عدة آيات كانت تتحدث عن واقعة أحد للإجابة على الذين تسرب اليأس إلى نفوسهم بعد أن منى المسلمون بهزيمة ساحقة على أيدي المشركين، والآية الرابعة نزلت بعد الحديث عن توحيد الله تعالى، أخذت في الحديث عن بعثة الرسول الأكرم والأهداف المتوخاة منها.

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ...)³.

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ)⁴.

أشار في سورة البقرة إلى «واد غير ذي ذرع» بينما ان المراد من «البلد» في سورة إبراهيم وهو بلفظ المعرفة بيت الله الحرام بعد بنائه، فعلى هذا قد اختلف زمن الدعاء وذكرهما ليس بتكرار.

¹- سورة الجمعة، آية ٢ .

²- تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ٣٩٤ .

³- سورة البقرة، آية ١٢٤ .

⁴- سورة إبراهيم، آية ٣٥ .

(قُلْ ءَأَمَّنَا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)١ .
جاء في آية البقرة «انزل البنا» وفي آل عمران «انزل علينا» لأن الخطاب في البقرة لجميع المخاطبين بلفظة «قولوا» وجاءت كلمة «الينا» وهي لانتهاء الغاية لجميع الجهات الست، فالقرآن نزل على النبيّ أولاً لكي يبلغه الى الناس كافة، والخطاب في آل عمران للنبيّ صلى الله عليه وآله وهو المنزل عليه حقيقة فأمر الله ان يقول من جانب نفسه وان يقول عن امته «آمنا بالله...».

وأما الآية الاولى نزلت عقيب الجدال الذي دار بين اليهود والنصارى فزعمت كل من اليهود والنصارى ان انبيائهم افضل الانبياء وكتبهم افضل الكتب.
والآية الثانية امر الله تعالى رسوله والمؤمنين بأن يؤنوا بالانبياء السابقين وشرائعهم فضلاً عن ايمانهم بالنبيّ الخاتم والقرآن العزيز.

(وَكَذَٰلِكَ لِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...)^٢
(فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا)^٣
(وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ...)^٤
(... وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ...)^٥

قد اختلف تفسير هذه الآيات باختلاف عباراتها، فقليل كل نبي مادام موجوداً في امته كان شاهداً على اعمالهم، فالنبي الخاتم صلى الله عليه وآله كان شاهداً على المسلمين فحسب، وقيل ان رسول الله كان شهيداً على شهداء الأمم السابقة، فكل نبي شاهد على اعمال امته ورسول الله صلى الله عليه وآله يكون شاهداً على امته وعلى جميع الأمم السالفة، وقيل ان المقصود بـ «هؤلاء» المسلمون الذين يعيشون في

١ - سورة آل عمران، آية ٨٤ .

٢ - سورة البقرة، آية ١٤٣ .

٣ - سورة النساء، آية ٤١ .

٤ - سورة النحل، آية ٨٩ .

٥ - سورة الحج، آية ٧٨ .

عصر نزول الآيه، وقيل هذه الآيات تدلّ على وجود امام معصوم في كل زمن حتى يكون شاهداً على جميع الناس أو شاهداً لأعمال المسلمين فحسب.

(... فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ)¹.
(وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)².

(وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمِمْ عَلَىكُمْ وَأَنَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)³.

قال صاحب مجمع البيان:

«وقيل في تكراره وجوه، احدها: أنه لما كان فرضاً نسخ ما قبله، كان من موضع التأكيد والتبيين ينصرف الخلق الى الحال الثانية من الحال الأولى على يقين، وثانيها: أنه مقدم لما يأتي بعده ويتصل به، فأشبهه الإسم الذي تكرر ليخبر عنه بأخبار كثيرة كما يقال: زيد كريم، زيد عالم، زيد فاضل، وما اشبه ذلك مما يذكر لتعليق الفائدة به، وثالثها: أنه في الأوّل بيان لحال الحضر وفي الثاني بيان لحال السفر»⁴.

وقد قال بعد تكرار الآيه الثالثة:

«وقيل في تكراره وجوه، احدها: أنه لاختلاف المعنى وان اتفق اللفظ، لأنّ المراد بالأوّل «ومن حيث خرجت» منصرفاً عن التوجه الى بيت المقدس «فولّ وجهك شطر المسجد الحرام» والمراد بالثاني أين ما كنت من البلاد، فتوجه نحوه من كلّ جهات الكعبة وسائر الاقطار، وثانيها: أنه من مواضع التأكيد

¹- سورة البقرة، آية ١٤٤.

²- سورة البقرة، آية ١٤٩.

³- سورة البقرة، آية ١٥٠.

⁴- تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ٤٢٩.

لما جرى من النسخ ليثبت في القلوب، وثالثها: أنه لاختلاف المواطن والاقوات التي تحتاج الى هذا المعنى فيها»^١.

وقال الطباطبائي في سبب تكرار الآية الثالثة:

«تكرار الجملة الأولى بلفظها لعلّ للدلالة على ثبوت حكمها على اى حال، فهو كقول القائل: اتق الله اذا قمت، واتق الله اذا قعدت، واتق الله اذا نطقت، واتق الله اذا سكتت، يريد التزام التقوى عند كل واحدة من هذه الأحوال ولتكن معك»^٢.

وذكر الرازى في تفسيره بياناً جامعاً ووجوهاً مختلفة لا تخلو من لطف نقلها وقد كان ثانيها احسنها. «أعلم أن أول ما فى هذه الآية من البحث أن الله تعالى قال قبل هذه الآيات «قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما تعملون» وذكر ههنا ثانياً قوله تعالى «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون» ثم ذكر ثالثاً قوله «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة» فهل فى هذا التكرار فائدة أم لا؟ وللعلماء فيه أقوال «أحدها» أن الأحوال ثلاثة «أولها» أن يكون الإنسان فى المسجد الحرام «وثانيها» أن يخرج عن المسجد الحرام ويكون فى البلد «وثالثها» أن يخرج عن البلد إلى أقطار الأرض، فالآية الأولى محمولة على الحالة الأولى، والثانية على الثانية، والثالثة على الثالثة، لأنّه قد كان يتوهم أن للقرب حرمة لا تثبت فيها للعبد، فلأجل إزالة هذا الوهم كرر الله تعالى هذه الآيات.

(والجواب الثانى) أنه سبحانه إنما أعاد ذلك ثلاث مرات لأنّه علق بها كل مرة فائدة زائدة أما فى المرة الأولى فبين أن أهل الكتاب يعلمون أن أمر نبوة محمد صلى الله عليه وآله وأمر هذه القبلة حق، لأنّهم شاهدوا ذلك فى التوراة والإنجيل، وأما فى المرة الثانية فبين أنّه تعالى يشهد أن ذلك حق،

^١ - تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ٤٣١.

^٢ - تفسير الميزان، ج ١، ص ٣٢٣.

وشهادة الله بكونه حقاً مغايرة لعلم أهل الكتاب بكونه حقاً، وأما في المرة الثالثة فبين أنه إنما فعل ذلك لئلا يكون للناس عليكم حجة، فلما اختلفت هذه الفوائد حسنت إعادتها لأجل أن يترتب في كل واحدة من المرات واحدة من هذه الفوائد، ونظيره قوله تعالى «فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت بأيديهم وويل لهم مما يكسبون».

(والجواب الثالث) أنه تعالى قال في الآية الأولى (فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) فكان ربما يخطر ببال جاهل أنه تعالى إنما فعل ذلك طلباً لرضا محمد صلى الله عليه وآله لأنه قال «فلنولينك قبلة ترضاها» فأزال الله تعالى هذا الوهم الفاسد بقوله «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك» أي نحن ما حولناك إلى هذه القبلة بمجرد رضاك، بل لأجل أن هذا التحويل هو الحق الذي لا محيد عنه فاستقبالها ليس لأجل الهوى والميل كقبلة اليهود المنسوخة التي إنما يقيمون عليها بمجرد الهوى والميل، ثم أنه تعالى قال ثالثاً «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره» والمراد دوموا على هذه القبلة في جميع الأزمنة والأوقات، ولا تولوا فيصير ذلك التولي سبباً للطعن في دينكم، والحاصل أن الآية السالفة أمر بالدوام في جميع الأمكنة والثانية أمر بالدوام في جميع الأزمنة والأمكنة، والثالثة أمر بالدوام في جميع الأزمنة وإشعار بأن هذا لا يصير منسوخاً البتة.

(والجواب الرابع) أن الأمر الأوّل مقرون بإكرامه إياهم بالقبلة التي كانوا يحبونها وهى قبلة أبيهم إبراهيم عليه السلام والثانى مقرون بقوله تعالى «ولكل وجهة هو موليها» أى لكل صاحب دعوة وملة قبلة يتوجه إليها فتوجهوا أنتم إلى أشرف الجهات التي يعلم الله تعالى أنها حقّ وذلك هو قوله «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وأنه للحدّ من ربك» والثالث مقرون بقطع الله تعالى حجة من خاصمه من اليهود فى أمر القبلة فكانت هذه عللاً ثلاثاً قرن بكل واحدة منها أمر بالتزام القبلة نظيره أن يقال: ألزم هذه القبلة فإنها القبلة التي كنت تهواها، ثمّ يقال ألزم هذه القبلة فإنها قبلة الحقّ لا قبلة الهوى وهو قوله «وأنه للحدّ من ربك» ثمّ يقال ألزم هذه القبلة فإنّ فى لزومك إياها انقطاع حجج اليهود عنك، وهذا التكرار فى هذا الموضع كالتكرار فى قوله تعالى (فبأى آلاء ربكم تكذبان) وكذلك ما كرر فى قوله تعالى «أنّ فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين».

(والجواب الخامس) ان هذه الواقعة أوّل الوقائع التي ظهر النسخ فيها فى شرعنا، فدعت الحاجة الى التكرار لأجل التأكيد والتقرير وازالة الشبهة وإيضاح البيّنات»^١.

(الحدّ من ربك فلا تكوننّ من المُمترين)^٢.

(ألحدّ من ربك فلا تكنّ من المُمترين)^٣.

الآية الأولى نزلت عقب الآيات التي تتحدث عن القبلة، فأراد الله تعالى تثبيت قلب نبيّه صلى الله عليه وآله امام الهجمة الاعلامية المضادة التي تقودها الدوائر المعادية له صلى الله عليه وآله فأكد القرآن بأنّه صلى الله عليه وآله على ارتباط وثيق بالسماء، والآية الثانية نزلت عقيب خلقه عيسى عليه السلام وتود ما جاء فى القرآن بشأه وأنه خلق كما خلق جدّه آدم عليهما السلام، وهذه اى ولادته من غير أب أمر حقيقى لا يتطرق اليه الشك.

^١ - تفسير الكبير، ج ٤، ص ١٥٢ .

^٢ - سورة البقرة، آية ١٤٧ .

^٣ - سورة آل عمران، آية ٦٠ .

(... فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي...)^١.

(... فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي...)^٢.

(... فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي...)^٣.

كل آية جاءت بعد ان سبقتها قضايا متميزة كقضية تغيير القبلة وما وقع في غدیر خم وانكار اليهود وعلمائهم الحق.

(وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ)^٤.

(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ)^٥.

نزلت آية البقرة في بدر عندما قتل من المسلمين اربعة عشر رجلاً ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار وقد اختلف في سبب نزول الثانية ف قيل نزلت في شهداء بدر أو أحد أو كلاهما، وقيل نزلت في شهداء بدر معونة.

قال الرازي في تفسيره الكبير بشأن آية آل عمران أنها واردة في شهداء بدر وأحد، لأن في وقت نزول هذه الآية لم يكن أحد من الشهداء إلا من قتل في هذين اليومين المشهورين^٦.

(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ)^٧

^١ - سورة البقرة، آية ١٥٠ .

^٢ - سورة المائدة، آية ٣ .

^٣ - سورة المائدة، آية ٤٤ .

^٤ - سورة البقرة، آية ١٥٤ .

^٥ - سورة آل عمران، آية ١٦٩ .

^٦ - أنظر الى تفسير الكبير، ج ٩، ص ٩١ .

^٧ - سورة البقرة، آية ١٥٩ .

(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا أَوْ لَبِئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)¹.
(إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ تَمَنَّا قَلِيلًا أَوْ لَبِئِكَ لَخَلَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)².

قيل في شأن نزول الآية الأولى: ان جماعة من الأنصار سألوا نقرأ من اليهود عمّا في التوراة من صفات النبي صلى الله عليه وآله فكتموا ما في التوراة فنزلت هذه الآية.

وقيل في سبب نزول الثانية: أنّها نزلت في روءاء اليهود من كعب بن الأشرف وكعب بن أسد ومالك بن الصيف وحيى بن اخطب وأبى ياسر بن اخطب، فهم يأخذون الهدايا من اتباعهم، فلمّا بعث النبي صلى الله عليه وآله خافوا انقطاع تلك الهدايا، فكتموا أمر محمد صلى الله عليه وآله وشريعته في التوراة. وقيل في سبب نزول الثالثة: ما قيل في الثانية أو أنّها نزلت في الأشعث بن قيس وخصم له في الأرض، اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وآله فلما لم يكن للرجل بيّنة، همّ الأشعث باليمين، فأنزل الآية، فنكل الأشعث واعترف بالحق وردّ الأرض الى الخصم. وقيل غير هذا.

وبعد الدقّة في الآيات التي جاءت قبل هذه الآيات وبعدها، نعرف وجوهاً وأسراراً لسبب تكرارها، ففي بدأ النظر نعرف ان الآية الأولى كلام مستأنف يتناول كلّ من كتّم شيئاً من الدين، اذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوصية السبب، ولأنّ ترتب الحكم على الوصف مشعر بالعلية، وهنا ترتب اللعن على الكتمان، يشعر بأن الوصف علّة لهذا الحكم.

والآية الثانية نزلت في ضمن آيات عديدة في وصف أهل الكتاب وأنهم من جهة يحرمون ما احل الله لهم ومن جهة يكتمون ما أنزل سبحانه عليهم.

والآية الثالثة كانت بعد خيانة بعض أهل الكتاب لأموال الناس «ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار

¹- سورة البقرة، آية ١٧٤ .

²- سورة آل عمران، آية ٧٧ .

يوذه إليك ومنهم من ان تامنه بدینار لا یوه إلیک...» فالله تعالى بین فی هذه الآیه نقضهم بعهدالله.

(خَلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ).^١

(خَلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ).^٢

الآیه الأولى فی الكفار الذين كفروا و ماتوا و هم كفار، والثانية فی قوم ارتدوا وكفروا بعد ايمانهم.

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلُوكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ).^٣

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ).^٤

(إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ).^٥

(وَلَكِنَّ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ).^٦

هذه الآيات نزلت لبيان مظاهر النظم والانسجام فى المنظومة الكونية الرائعة الموجود فيها رغم مرور

الآف السنين. ودليل تام لإثبات الصانع، وأن السموات والأرض آية بل كل ما فيهما آية بحد ذاته.

هذا مضافاً الى ان فى كل واحد من هذه الآيات، اشارة لأمر لا نجدها فى الآيه الأخرى.

مع ان السبب لنزول هذه الآيات مختلف، فكل آية نزلت لمناسبة خاصة، تنسجم مع ما سبقها وما

لحق بها فقد قال «عطاء بن رباح» فى شأن آية آل عمران:

قلت لعائشة: أخبريني باعجب ما رأيت من رسوالله صلى الله عليه وآله . قالت: وأى شأن لم يكن

^١ - سورة البقرة، آية ١٦٢ .

^٢ - سورة آل عمران، آية ٨٨ .

^٣ - سورة البقرة، آية ١٦٤ .

^٤ - سورة آل عمران، آية ١٩٠ .

^٥ - سورة يونس، آية ٦ .

^٦ - سورة العنكبوت، آية ٦٣ .

عجباً، أنه أتاني ليلة فدخل معي في لحافى ثم قال: ذرينى أتعبد لربى، فقام فتوضأ ثم قام يصلى فبكى، حتى سألت دموعه على صدره، فركع فبكى، ثم سجد فبكى، ثم رفع رأسه فبكى، فلم يزل كذلك حتى جاء بلال، فأذنه بصلاة، فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: افلا اكون عبداً شكوراً، ولم لا أفعل وقد أنزل على هذه الليلة «ان فى خلق...»^١.
 (يَأْيُهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِى الْاَرْضِ حَلٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوْا خُطُوٰتِ الشَّيْطٰنِ اِنَّهٗ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِيْنٌ)^٢.
 (يَأْيُهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا اَدْخُلُوْا فِى السَّلٰمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوْا خُطُوٰتِ الشَّيْطٰنِ اِنَّهٗ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِيْنٌ)^٣.
 (وَمِنَ الْاَنْعٰمِ حَمُوْلَةٌ وَّفَرَشٰتٌ كُلُّوْا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّٰهُ وَلَا تَتَّبِعُوْا خُطُوٰتِ الشَّيْطٰنِ اِنَّهٗ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِيْنٌ)^٤.
 (يَأْيُهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا لَا تَتَّبِعُوْا خُطُوٰتِ الشَّيْطٰنِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوٰتِ الشَّيْطٰنِ فَاِنَّهٗ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهٗ مَا زَكٰى مِنْكُمْ مِّنْ اَحَدٍ اَبَدًا وَلٰكِنَّ اللّٰهُ يُزَكِّىْ مَنْ يَشَآءُ وَاللّٰهُ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ)^٥.

نهى الله تعالى عن اتباع الخطوات الشيطانية والمراد من الخطوة فى كل آية غير ما فى الأخرى بملاحظة السياق.

(وَإِذَا قِيْلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللّٰهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانِ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ)^٦.

(وَإِذَا قِيْلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللّٰهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانِ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ)^٧.

(وَإِذَا قِيْلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللّٰهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانِ الشَّيْطٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ

^١ - تفسير الأمل، ج ٣، ص ٤٥ .

^٢ - سورة البقرة، آية ١٦٨ .

^٣ - سورة البقرة، آية ٢٠٨ .

^٤ - سورة الأنعام، آية ١٤٢ .

^٥ - سورة النور، آية ٢١ .

^٦ - سورة البقرة، آية ١٧٠ .

^٧ - سورة المائدة، آية ١٠٤ .

عَذَابِ السَّعِيرِ)¹.

بعد ما كان في كل آية من الاختلاف في الالفاظ والمعاني نقول، الآية الأولى تشير الى مقولة المشركين الواهية في تحريم ما احل الله، فهم الذين اذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان ولا تحرموا ما احل الله لعباده، «قالوا بل نتبع...».

والآية الثانية تشير الى أعراف خرافية سائدة في الجاهلية وأنهم يضعون على بعض الحيوانات علامات لأسباب معينة ويحرمون لحومها ولبنها وجز صوفها والركوب عليها أو يحللون لحومها بعد موتها للتيمن والتبرك، فاذا قيل لهم تعالوا ولا تفعلوا هذه الأعمال الخرافية، «قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا...» وتفاخروا باجدادهم وقدسوا أفكارهم.

والآية الثالثة تشير الى ان المشركين لا يتدبرون في التسخير الالهي للموجودات السماوية والأرضية للإنسان ولا يتفكرون في نعم الله تعالى الظاهرة والباطنة ولكن يجادلون في الله بغير علم ذاتي وبلا اتباع لمرشد هادي وبلا كتاب منير، فهم يصرون على تقليد آباءهم في اعمالهم الباطلة.

(إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)².

(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَا لِكُمْ فِسْقٌ...)³.

(قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)⁴.

(إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ

¹- سورة لقمان، آية ٢١ .

²- سورة البقرة، آية ١٧٣ .

³- سورة المائدة، آية ٣ .

⁴- سورة الأنعام، آية ١٤٥ .

فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ^١.

تقديم «به» على «لغير الله» في سورة البقرة على الأصل، لأن الباء التي يتعدى بها الفعل كالمهمزة المزيدة في بناء الفعل فيلزم تقديم هذه الباء، ولكن بما أن الاهلال بالمذبوح لا يستنكر إلا إذا كان لغير الله، فتأخر في الثلاثة الأخيرة لأن تقديم المستنكر كان أولى، وأما وجه تكرار الآية في أربع مواضع من القرآن فقال صاحب الميزان فيه:

«والآية بمعناها على اختلاف ما في لفظها واقعة في أربع مواضع من القرآن في سورتى الأنعام والنحل وهما مكيتان من أوائل ما نزل بمكة وأواخرها، وفي سورتى البقرة والمائدة وهما من أوائل ما نزل بالمدينة وأواخرها. وهي تدلّ على حصر محرّمات الأكل في الأربع المذكورة، الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، كما نبّه عليه بعضهم، لكن بالرجوع الى السنة يظهر أن هذه هي المحرمات الأصلية التي عنى بها في الكتاب وما سوى هذه الأربع من المحرمات ممّا حرّمه النبي صلى الله عليه وآله بأمر من ربه^٢».

وقال الرازي في تفسيره:

فثبت أن هذه السور الأربعة دالة على حصر المحرمات في هذه الأربع، سورتان مكيتان وسورتان مدينتان، فإن سورة البقرة مدنية وسورة المائدة من آخر ما أنزل الله تعالى بالمدينة، فمن أنكر حصر التحريم في هذه الأربع إلا ما خصه الاجماع والدلائل القاطعة كان في محل أن يخشى عليه، لأن هذه السورة دلّت على أن حصر المحرمات في هذه الأربع كان شرعاً ثابتاً في أول أمر مكة وأخرها وأول المدينة وأخرها وأنه تعالى أعاد هذا البيان في هذه السور الأربع، قطعاً للاعذار وازالة للشبهة والله اعلم^٣.

هذا مع أن آية البقرة والأنعام والنحل نزلن في ضمن محاجة أهل الكتاب ببيان مواضع مختلفة

^١ - سورة النحل، آية ١١٥ .

^٢ - تفسير الميزان، ج ١٢، ص ٣٦٥ .

^٣ - تفسير الكبير، ج ٢٠، ص ١٣٣ .

للمحاجة وآية المائدة نزلت لبيان حكم تشريعي فحسب.

(أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)¹.
(... وَمَنْ كَانَ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَلَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)².

قال الرازي في سبب تكرار حكم المسافر والمريض:

«انّ في الابتداء كان صوم شهر رمضان ليس بواجب معين، بل كان التخيير ثابتاً بينه وبين الفدية، فلما كان كذلك ورخص للمسافر الفطر كان من الجائز ان يظن ان الواجب عليه الفدية دون القضاء، ويجوز أيضاً انه لا فدية عليه ولا قضاء لمكان المشقة التي يفارق بها المقيم، فلما لم يكن ذلك بعيداً بيّن تعالى ان افطار المسافر والمريض في الحكم خلاف التخيير في حكم المقيم، فانه يجب عليهما القضاء في عدة من أيام آخر، فلما نسخ الله تعالى ذلك عن المقيم الصحيح والزمه بالصوم حتماً كان من الجائز ان يظن ان حكم الصوم لما انتقل عن التخيير الى التضييق حكم يعم الكل حتى يكون المريض والمسافر فيه بمنزلة المقيم الصحيح من حيث تغير حكم الله في الصوم، فبين تعالى ان حال المريض والمسافر ثابت في رخصة الافطار ووجوب القضاء كما لها أولاً، فهذا هو الفائدة في أعاده ذكر حكم المسافر والمريض»³.

وقيل ان سبب تكرار حكم المسافر والمريض في هذه الآية كراهية المومنين المسافرين والمرضى ان لا يصوموا ايام شهر رمضان، فالله تعالى أراد بتكرار الحكم حتى يقول: كما ان الصوم في الحضر وفي حال السلامة كان واجباً فالافطار في حال السفر والمرض كان حكماً شرعياً.

(... تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَا لِكَيْ يُبَيِّنَ اللَّهُ لِنَاسٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)⁴.

¹- سورة البقرة، آية ١٨٤ .

²- سورة البقرة، آية ١٨٥ .

³- تفسير الكبير، ج ٥، ص ٧٩ .

⁴- سورة البقرة، آية ١٨٧ .

(... تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)¹.

(... وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)².

(تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)³.

(... وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا)⁴.

هذا المقاطع في الآيات هي الجزء الأخير لبعض الآيات القرآنية وفي كل آية اشارة الى بعض الحدود، فالأولى تشير الى حرمة الأكل والشرب من الفجر الى الليل في شهر رمضان ومباشرة النساء فيها وفي حال الاعتكاف، والثانية والثالثة والخامسة، تشير الى بعض الحدود المتعلقة بالطلاق، والرابعة تشير الى بعض الحدود المتعلقة بالإرث.

وأما ما في الاختلاف في الآيتين الاوليين «فلا تقربوها» «فلا تعتدوها» فيمكن ان يقال: ان المراد من الحد في الآية الأولى النهي عن مباشرة النساء ويناسبها النهي عن المقاربة والمراد من الحد في الثانية عدد الطلاق ولزوم الأمسك بالمعروف أو التسريح بإحسان، ويناسبها النهي عن التجاوز والاعتداء.

قال الخطيب الاسكافي في كتابه درة التنزيل:

«الأول خرج على اغلظ الوعيد كما قال: «ولا تقربا هذه الشجرة» وإنما كان نهى عن أكلها لا الدنو منها، فخرج مخرج قول القائل: إذا نهى عن شئ وشدد الأمر فيه، لا تقرب هذا الشئ... فلما كانت حاله هذه الموضع الأول نهياً عن مواقع النساء في حالة الإعتكاف في المساجد، صار فيه تحذير من دواعي المواقع، فافتضى من المبالغة ما لم يقتضه قوله «فلا جناح عليها فيما افتدت به تلك حدود الله

¹- سورة البقرة، آية ٢٢٩ .

²- سورة البقرة، آية ٢٣٠ .

³- سورة النساء، آية ١٣ .

⁴- سورة الطلاق، آية ١ .

فلا تعتدوها» فكانه قال: لا تتجاوزوها، يعنى المرثءة إذا افتدت لمهرها وخالعت زوجها لم يكن عليها اثم، وهذه حدود نهى عن تعديتها... والحدود ضربان حدّ هو منع من ارتكاب المحظور وحدّ هو فاصل بين الحلال والحرام، فالأول ينهى عن مقاربتة والثانى ينهى عن مجاوزته، وهما المذكوران فى هذه السورة وحدّ النهى عنهما^١.

(وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجَكُمُ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُوا فِيهِ فَإِن قَتَلْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَا لِكِ جَزَاءِ الْكٰفِرِينَ)^٢.

(... فَإِن تَوَلَّوْا فَاخْذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا)^٣.

(... وَيَكْفُرُوا أَيْدِيَهُمْ فَاخْذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَوْلِيَاءَ كُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنًا مُّبِينًا)^٤.

(فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخْذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَآتَوْا الزَّكٰوةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)^٥.

الآية الأولى اجازت للمسلمين بان يقاتلوا كفار مكة الذين اخرجوا المومنين من ديارهم، والثانية نزلت فى المنافقين وهم اسوء حالا من الكفار لشدة انحرافهم ولاتخاذهم الإسلام غطاءً يستترون به بغية هدم الاسلام، والآية الثالثة نزلت فى نفر من قريش كانوا يتظاهرون بالإسلام فى محضر رسول الله صلى الله عليه وآله ولكنهم يعبدون الأصنام عند ما يرجعون الى قريش، والآية الرابعة نزلت فى المشركين بعد ان امهلهم الله أربعة أشهر.

(وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ)^٦.

(وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)^٧.

^١ - درة التنزيل وغيرة التأويل، ص ٤٥.

^٢ - سورة البقرة، آية ١٩١.

^٣ - سورة النساء، آية ٨٩.

^٤ - سورة النساء، آية ٩١.

^٥ - سورة التوبة، آية ٥.

^٦ - سورة البقرة، آية ١٩٣.

^٧ - سورة الأنفال، آية ٣٩.

الآية الأولى قد بينت هدف الجهاد في الإسلام وأنها نزلت بعد اقدم مشركي قريش على تشهير السلاح بوجه المسلمين كما أنهم اخرجوا المسلمين من بلادهم وهم الذين يقعون في الفتنة والفتنة اشد من القتل.

والآية الثانية نزلت بعد آية في دعوة الكفار والمشركين الى الحق لكي يغفر الله ما قد سلف من ذنوبهم فان الإسلام يجب ما قبله.

(قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَآقَدٌ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ)¹.

فيمكن ان يتوهم البعض ان الجهاد والقتال قد مضى وقته وحان وقت السلم والمغفرة فنزلت الآية التالية لكي ينذر اعداء الدين بعد ان بشرهم بغفران ذنوبهم.

(هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلْبِءِ كَةً وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ)².

(هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلْبِءِ كَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَضِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ)³.

(هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلْبِءِ كَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَا لِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)⁴.

هذه الآيات تتكلم عن بعض المشركين ولجاجتهم، فهم اعلنوا عن اذعانهم بالإسلام إذا لبي رسول الله صلى الله عليه وآله طلباتهم المتعددة والمستحيلة وغير المعقولة، ولعل هذه الآيات تكررت بعد ان تكرر هذا الموقف الجدلي منهم.

(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ

¹- سورة الأنفال، آية ٣٨ .

²- سورة البقرة، آية ٢١٠ .

³- سورة الأنعام، آية ١٥٨ .

⁴- سورة النحل، آية ٣٣ .

وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ الْآلَةَ إِن نَّصَرَ اللَّهُ قَرِيبًا) .
 (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) ٢ .
 (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ
 وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَبِجَهَةِ اللَّهِ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) ٣ .
 (أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) ٤ .

فالآية الأولى خطاب للمؤمنين يوم الخندق لما اشتد بهم الخوف وحوصر المسلمون في المدينة فدعاهم الله تعالى الى الصبر ووعدهم بالنصر وقيل نزلت في حرب أحد، والثانية نزلت في غزوة أحد وهى تخاطب الذين حل بهم البلاء واثخنوا بالجراح، والثالثة نزلت في المجاهدين الذين شاهدوا فتح مكة، وما قال بعض بأن الخطاب فى هذه الآيه للمخاطبين جميعاً ليس فى محله بعد ملاحظه السياق، والرابعة لبيان سنه الله الجارية فى افتتان عباده جميعاً وأنه لا يختص بالامم الماضية وغيرها ولا يختص بالمسلمين.

(لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ) ٥ .
 (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ إِطْعَامَ عَشْرَةِ
 مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَا
 لِكَ كَفْرَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذًا لِكِ يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) ٦ .
 الآية الأولى جاءت قبل آيات الايلاء وحكمه والثانية نزلت مطلقة وفيها كفارة حث القسم.
 (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا

١- سورة البقرة، آية ٢١٤ .

٢- سورة آل عمران، آية ١٤٢ .

٣- سورة البرائة، آية ١٦ .

٤- سورة العنكبوت، آية ٢ .

٥- سورة البقرة، آية ٢٢٥ .

٦- سورة المائدة، آية ٨٩ .

لَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَا لِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِي وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ^١.
 (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَا لِكُمْ يُوعِظُ بِهِي مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا^٢.
 ان الأمر في الآيتين يتعلق بتسريحهنّ وامساكنهنّ بمعروف، إلاّ ان الأمر بهما يشهد أكثر في سورة البقرة، حيث اعتبر ان هذين العمليين (التسريح أو الأمساك بغير معروف) بمثابة ظلم على النفس واستهزاء بآيات الله تعالى.

وجاء في سورة الطلاق بيان أحكام الطلاق والقضايا المرتبطة به فحسب.
 (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ^٣.
 (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَّتَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ^٤).

المراد من الآية الأولى في قوله تعالى «فلا جناح عليكم...» هو جواز التزويج بعد اتمام العدة فالمرئة بعد انتهاء عدتها وهي أربعة أشهر وعشراً يمكنها ان تتزوج من تشاء.
 والآية الثانية تدلّ على شئ آخر، مغاير وهو اختيار المرئة المتوفى زوجها بين بقائها في بيته وأخذ نفقتها مدة حول او خروجها وتزوجها في هذه المدة بعد اتمام عدتها ان ارادت.
 والعجيب من الكرمانى حينما قال: النكرة إذا تكررت صارت معرفة» ثم اشكل على نفسه وقال «كيف يصح ما قلت والاول معرفة والثانى نكرة، وما ذهبت إليه يقتضى ضد هذه، بدليل قوله

^١ - سورة البقرة، آية ٢٣١ .

^٢ - سورة الطلاق، آية ٢ .

^٣ - سورة البقرة، آية ٢٣٤ .

^٤ - سورة البقرة، آية ٢٤٠ .

تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا) ١ ثم أجاب بان هذه الآية باجماع من المفسرين مقدمة على تلك الآية فى النزول وان وقعت متأخرة فى التلاوة... واجمعوا أيضاً على ان هذه الآية منسوخة بتلك الآية، والمنسوخ سابق عن الناسخ ضرورة، فصح ما ذكرت ان قوله بالمعروف، هو ما ذكر فى قوله: من معروف، ثم أمر بتأمل فى كلامه وقال بأنه من أحد وجوه الاعجاز فى القرآن الكريم ٢.

فهذا الكلام فيه وجوه للمناقشة، أولاً: ان مسألة النسخ ليست إجماعية بشكل تام كما تصور بل وقع فيها الخلاف بين المفسرين.

ثانياً: ان النسخ مبنى على ان نقول: ان خروج المرثة مدّة سنة بعد وفات زوجها كان حقاً على المرثة وهو واجب ولكن الآية ليس بصدد هذا الشئ، بل ما نستفيدة من الآية هو جواز بقاء المرثة فى بيت زوجها مدّة حول بعد وفاته واذا كان كذلك فتجب لها النفقة من مال زوجها.

(... إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) ٣.

(... إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ) ٤.

(... ذَا لِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) ٥.

(وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ) ٦.

(... إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) ٧.

كل عبارة وقعت بعد شئ تفيدنا معنى غير ما تفيد فى الاخرى فالمراد من الفضل فى كل آية نعمة تغاير الأخرى وكذا الشكر.

١- سورة المزمل، آية ١٥ .

٢- البرهان فى توجيه متشابه القرآن، الرقم ٤٧ .

٣- سورة البقرة، آية ٢٤٣ .

٤- سورة يونس، آية ٦٠ .

٥- سورة يوسف، آية ٣٨ .

٦- سورة النمل، آية ٧٣ .

٧- سورة الغافر، آية ٦١ .

(مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)¹.
(مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ)².
(إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ)³.
(إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ)⁴.
(إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلثَهُ وَطَآبَ عَفَاءٍ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يَقْدِرُ
الَّيْلَ وَالنَّهَارَ عِلْمَ أَنْ لَنْ تُحْصِيَهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ
مَرْضَىٰ وَعَآخِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَعَآخِرُونَ يَكْتَسِبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا
مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ
تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)⁵.

ليس المراد من «القرض الحسن» منح العباد قرضا حسنا فحسب، بل المراد في كل آية من الآيات الخمسة الانفاق في سبيل الله تعالى.

قال جمال الدين المقداد:

هذه أربع آيات استدلت المعاصر بها على ارجحية القرض للمؤمن وان فيه اجراً عظيماً وان الله هو المكافى عليه، إذ الحقيقة ممنوعة لاستحالة الحاجة عليه تعالى، فيحمل على اقراض عبيده، وعندى فى ذلك نظر، فان اطلاق القرض الذى هو اعطاء شىء ليستعيد عوضه وقتا آخر استعاره للأعمال الصالحة، فان الأعمال الصالحة يفعلها العبد ويحصل له العوض فى الدار الآخرة وحينئذ لا دلالة فى الآية على مشروعية القرض، وقوله «ان الحقيقة ليست مرادة» مسلم لكن حمله على اقراض المؤمنين من غير دلالة حمل من غير دليل، ولا ضرورة اليه مع إمكان المجاز الذى ذكرناه.

¹ - سورة البقرة، آية ٢٤٥.

² - سورة الحديد، آية ١١.

³ - سورة الحديد، آية ١٨.

⁴ - سورة التغابن، آية ١٧.

⁵ - سورة المزمل، آية ٢٠.

نعم وان كان في كلامه مجال للنقاش إلا ان تفسير القرض الحسن لا بنفسه فحسب، بل بكل الأعمال الصالحة جيداً، وعليه فلا تتمحور الآيات حول شيء واحد بل تشمل كل الأعمال الصالحة فلا مبرر للقول بتكرار الآيات، هذا. ويويد ما قلنا: ما قال الطبرسي والرازي في تفسيرهما في سبب نزول آية البقرة، فقال الطبرسي في مجمع البيان:

«قال الكلبي في سبب نزول هذه الآية: ان النبي صلى الله عليه وآله قال: من تصدق بصدقة فله مثلها في الجنة، فقال أبو الدحداح الأنصاري واسمه عمر بن الدحداح: يا رسول الله ان لي حديقتين، ان تصدقت بإحدهما، فان لي مثلها في الجنة؟ قال: نعم. قال: وام الدحداح معي؟ قال: نعم، قال: والصبية معي؟ قال: نعم، فتصدق بأفضل حديقتيه فدفعها الى رسول الله فنزلت الآية فضاعف الله له صدقته الف الف»^١.

وقال الفخر الرازي في تفسيره الكبير:

«اختلف المفسرون فيه على قولين، الاول ان الآية متعلقة بما قبلها والمراد منها القرض في الجهاد خاصة، والقول الثاني: ان هذا الكلام مبتدء لا تعلق له بما قبله، ثم القائلون بهذا القول اختلفوا، فمنهم من قال: المراد من هذا القرض، انفاق المال (غير الواجب) ومنهم من قال انه غيره، والقائلون بأنه انفاق المال، لهم ثلاثة أقوال، الاول ان المراد من الآية ما ليس بواجب من الصدقة. ثم ذكر الفخر قولان آخران وهما، ان المراد من هذا القرض الانفاق الواجب في سبيل الله والآخر وقال هو الأقرب ان يدخل فيه كلا القسمين^٢.

(تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ)^٣.

(تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ)^٤.

(تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ)^٥.

^١ - تفسير مجمع البيان، ج ٢، ص ١٣٧.

^٢ - تفسير الكبير، ج ٦، ص ١٨٠.

^٣ - سورة البقرة، آية ٢٥٢.

^٤ - سورة آل عمران، آية ١٠٨.

تشير كل هذه الآيات لآية من آيات الله تعالى.

(تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ)^٢.

قال الواحدى فى وجه تكرار «ولو شاء الله ما اقتتل»

«أما كرهه تأكيداً للكلام وتكذيباً لمن زعم أنهم فعلوا ذلك من عند أنفسهم ولم يجربه قضاءً ولا قدر من الله تعالى»^٣.

ولكن يمكن ان يقال ان الثانية ليست لبيان المشيئة فحسب بل هى اشبه بالامر للمؤمنين بالكف عن قتالهم.^٤

(الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)^٥.

(الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)^٦.

اختلف فى سبب النزول لهاتين الآيتين، فى التفسير الكبير للرازى فى ذيل الآية الاولى:

«نزلت الآية فى عثمان وعبدالرحمن بن عوف، اما عثمان فجهز جيش العسرة فى غزوة تبوك بألف بغير باقتابها وألف دينار، فرفع رسول الله يديه يقول: يا رب عثمان رضيت عنه فارض عنه، واما

^١ - سورة الجاثية، آية ٦ .

^٢ - سورة البقرة، آية ٢٥٣ .

^٣ - تفسير الكبير، ج ٦، ص ٢٢٢ .

^٤ - ارجع الى تفسير مجمع البيان، ج ٢، ص ١٥٥ .

^٥ - سورة البقرة، آية ٢٦٢ .

^٦ - سورة البقرة، آية ٢٧٤ .

عبدالرحمن بن عوف فانه تصدّق بنصف ماله أربعة آلاف دينار فنزلت الآية^١.
قد نقل العلامة الاميني؛ هذا الحديث باسناده المختلفة وضعّفها، وايضا نقل عن ابن حجر في فتح الباري
ضعف سند بعضها بوجود سيف بن عمر وغيره من المجاهيل^٢.

ثم قال في موضع من كتابه:

«وانا لم نجد في اعمال عثمان عملا باراً يستدعى هذه المغالاة الخارجة عن اصول الاسلام، غير ما
انفق على جيش العسرة ان صح من ذلك شيء... وقد علمت ان جيش العسرة انفق عليه غيره ما هو
اكثر مما انفق هو»^٣.

وقال الرازي في سبب نزول الآية الثانية:

«في سبب النزول وجوه، الأول: لما نزل قوله تعالى: «للفقراء الذين احصروا في سبيل الله» بعث
عبدالرحمن بن عوف الى أصحاب الصفة بدنانير، وبعث على رضيا لله عنه بسويق من تمر ليلاً، فكان
احبّ الصدقتين الى الله تعالى صدقته، فنزلت هذه الآية فصدقة الليل كانت اكمل.

والثاني: قال ابن عباس: ان علياً عليه السلام ما كان يملك غير أربعة دراهم، فتصدق بدرهم ليلاً
وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم علانية، فقال صلى الله عليه [وآله] وسلم ما حملك على هذا؟
فقال: ان استوجب ما وعدني ربّي، فقال: لك ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية، والثالث: قال صاحب
الكشاف: نزلت في أبي بكر...»^٤.

(وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)^٥.

^١ - تفسير الكبير، ج ٧، ص ٥١.

^٢ - الغدير، ج ٩، ص ٣٣٤.

^٣ - المصدر، ص ٣٣٧.

^٤ - تفسير الكبير، ج ٧، ص ٩١.

^٥ - سورة البقرة، آية ٢٨١.

(فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)¹.
(وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَلَّ مَنَّانٌ يَغُلُّ يَأْتِي بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)².

(يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)³.
وكذا في آيات أخرى

ان القرآن بعد بيان الأحكام الفرعية والحدود الأخلاقية، يطرح تذكيراً عاماً لبيان أهمية الحكم والبشارة لمن وافقها والانداز لمن خالفها وما في هذه الآيات من هذا القبيل.

فالآية الأولى نزلت بعد بيان حرمة الربا، والثانية بعد بيان تحريفات أهل الكتاب، والثالثة بعد بيان أنه ليس للنبي صلى الله عليه وآله ان يغل ويخون، والرابعة بعد بحثه عن المرتد وحكمه وهكذا...

(لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوا يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)⁴.

(قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبَدُّوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)⁵.

الآية الأولى هي بيان كلى بأن الله تعالى يحاسب على الذنوب الباطنية كما يحاسب على الذنوب الظاهرية، والآية الثانية جاءت عقيب النهي عن مودة الكفار الآ في حالة التقية، فيمكن ان يتظاهر البعض في مودة الكفار تقيّةً فالآية تنهى عن مثل هذه التقية غير الصحيحة.

هذا مع ان الابداء يقدم على الاخفاء في الآية الأولى وذلك لأن الأصل في الأشياء ابدائها والاخفاء كان لعلّة، كما ان تقدم الاخفاء في الآية الثانية لمناسبته بالعلم.

¹ - سورة آل عمران، آية ٢٥ .

² - سورة آل عمران، آية ١٦١ .

³ - سورة النحل، آية ١١١ .

⁴ - سورة البقرة، آية ٢٨٤ .

⁵ - سورة آل عمران، آية ٢٩ .

فقال صاحب الميزان:

«لما كان الانسب بحال العلم ان يتعلق بالمخفى بخلاف الحساب، فان الانسب له ان يتعلق بالبادي الظاهر، قدم ذكر الاخفاء في هذه الآية على ذكر الابداء وجرى العكس منه في آية البقرة كما قيل»^١.

(... فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)^٢.

(... يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)^٣.

(... يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ)^٤.

(... وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)^٥.

(... يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)^٦.

ان كل آية تركز على موضوعات مختلفة، فان التكرار في المغفرة والعذاب وتعليقهما على «من يشاء» فهو لدفع ذنبين كبيرين وهما اليأس من روح الله والأمن من مكر الله تعالى.

نعم يمكن ان يقال في وجه تقدّم العذاب على المغفرة في الآية ٤٠ من سورة المائدة، انها جاءت بعد التحدث عن المغفرة، فقدّم العذاب على المغفرة حتى يكون العذاب بين المغفرتين، وهذا بخلاف الآيات الأخرى.

(لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِيصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْكُفْرِينَ)^٧.

(... لَا تَنْكَلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَا لَكُمْ وَصَلَّكُمْ

^١ - تفسير الميزان، ج ٣، ص ١٧٩ .

^٢ - سورة البقرة، آية ٢٨٤ .

^٣ - سورة آل عمران، آية ١٢٩ .

^٤ - سورة المائدة، آية ١٨ .

^٥ - سورة المائدة، آية ٤٠ .

^٦ - سورة الفتح، آية ١٤ .

^٧ - سورة البقرة، آية ٢٨٦ .

بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)١.

(... لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)٢

(وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)٣.

(... لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً تَلَّهَا سَيِّجَعُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا)٤.

ان هذه الآيات تود على التكليف الالهيء التي تراعى فيها طاقة الانسان ووسعه، نعم المراد من التكليف فى كل آية غير ما يراد منه فى الآيات الأخرى ويتجلى معنى كل تكليف من خلال سياق الآية.

(لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ

إِلَّا أَنْ تَتَّبِعُوا مِنْهُمْ ثَمَلَةً وَيَحذِرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ)٥.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ

مِنْهُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)٦.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ

مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ

مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ

السَّبِيلِ)٧.

قال صاحب الميزان فى وجه تكرار النهى عن تولى الكفار:

«وقد تكرر ورود النهى فى الآيات الكريمة عن تولى الكافرين واليهود والنصارى واتخاذهم اولياء

١- سورة الأنعام، آية ١٥٢.

٢- سورة الأعراف، آية ٤٢.

٣- سورة المؤمنون، آية ٦٢.

٤- سورة الطلاق، آية ٧.

٥- سورة آل عمران، آية ٢٨.

٦- سورة مائدة، آية ٥١.

٧- سورة ممتحنة، آية ١.

لكن موارد النهي مشتملة على ما يفسر معنى التولى المنهى عنه.

ويعرف كيفية الولاية المنهى عنها كاشتمال هذه الآية على قوله «من دون المؤمنين» بعد قوله «لا يتخذ المونون الكافرين اولياء» واشتمال قوله تعالى: «يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء» على قوله «بعضهم اولياء بعض» وتعقب قوله تعالى «يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء» بقوله «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين» الى آخر الآيات.

وعلى هذا فأخذ هذه الأوصاف في قوله «لا يتخذ المونون الكافرين اولياء من دون المؤمنين» للدلالة على سبب الحكم وعلته، وهو ان صفتي الكفر والايمان مع ما فيهما من البعد والبيئونة ولا محالة يسرى ذلك الى من اتصف بهما، فيفرق بينهما في المعارف والأخلاق وطريق السلوك الى الله تعالى وسائر شئون الحياة لا يلائم حالهما مع الولاية، فان الولاية توجب الاتحاد والامتزاج وهاتان الصفتان توجبان التفرق والبيئونة، واذا قويت الولاية، كما اذا كان من دون المؤمنين أوجب ذلك فساد خواص الايمان وآثاره ثم فساد أصله، ولذلك عقبه بقوله «ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء» ثم عقبه أيضاً بقوله «الآن تتقوا منهم تقيّة» فاستنتى التقيّة، فان التقيّة انما توجب صورة الولاية في الظاهر دون حقيقتها.

(كَذَّابِ ۙ آلِ فِرْعَوْنَ ۙ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ)^٢
(كَذَّابِ ۙ آلِ فِرْعَوْنَ ۙ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ)^٣.

(كَذَّابِ ۙ آلِ فِرْعَوْنَ ۙ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ۙ آلَ فِرْعَوْنَ ۙ وَكُلُّ كَانُوا ظَلَمِينَ)^٤.

المراد من «فأخذهم الله بذنوبهم» هو هلاكهم وغرقهم كما جاء في الآية الأخيرة.

^١ - تفسير الميزان، ج ٣، ص ١٧٥ .

^٢ - سورة آل عمران، آية ١١ .

^٣ - سورة الأنفال، آية ٥٢ .

^٤ - سورة الأنفال، آية ٥٤ .

والمراد من التكذيب فى سورة آل عمران هو كفرهم ويدل عليه ما فى الآيه الاولى من سورة الأنفال. فى سورة آل عمران جاءت الآيه بعد آيات نزول الكتب السماوية بخلاف غيرها، فىنبغى الإشارة الى تكذيب الرسل.

ويمكن ان يقال ان آيه آل عمران تشبه الكفار فى زمن رسول الله صلى الله عليه وآله بالمعاندين فى زمن موسى عليه السلام والامم السالفة بأنهم لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئاً وفى الآيه الأولى من سورة الأنفال أنهم مثلهم فى عذابهم يوم القيمة، وفى الآيه الثانية منها، أنهم مثلهم فى طغيانهم وكفران نعمهم.

وقيل فى وجه تكرار الآيتين الأخيرتين، ان الكلام الثانى يجرى مجرى التفصيل، لأن الكلام الاول قد ذكر الله تعالى فيه أخذهم وفى الثانى ذكر اغراقهم.

وقيل ان المقصود من الأول، العقوبات النازلة بهم حين موتهم والمقصود من الثانى العقوبات النازلة بهم فى البرزخ والقيمة.

وقيل ان فى الكلام الأول من سورة الأنفال، أنهم كفروا بآيات الله فانهم انكروا الدلائل الالهية، وفى الكلام الثانى أنهم كذبوا بآيات ربهم فانهم انكروا دلائل التربية والاحسان وكفران النعمة فيؤخذهم الله تعالى للأول ويهلكهم ويغرقهم للثانى^١.

قال الطبرسى فى تفسيره مجمع البيان فى وجه تكرار الأخيرتين:

«انما كرر قوله «كذاب آل فرعون» لأنه أراد بالأول بيان حالهم فى استحقاق عذاب الآخرة وفى الثانى بيان استحقاقهم لعذاب الدنيا.

وقيل: ان فى الأول تشبيه حالهم بحال اولئك فى التكذيب، وفى الثانى تشبيه حالهم بحال اولئك فى الاستئصال.

وقيل: ان الأول فى أخذهم بالعذاب، والثانى فى كيفية العذاب، وقيل: ان آل فرعون كانوا على أحوال

^١ - انظر الى تفسير الكبير، ج ١٥، ص ١٨٨.

مختلفة في المعصية، فبين مشاركة هواء آياهم في تلك الأحوال»^١.

وقال صاحب الميزان:

«كرر التنظير السابق لمشابهة الغرض مع ما تقدم فقوله «كدأب آل فرعون» الخ السابق تنظير لقوله «ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بضلام للعبيد» كما ان قوله «كدأب آل فرعون» الى قوله «وكل كانوا ظالمين» ثانياً تنظير لقوله: ذلك بان الله لم يكم مغيراً نعمة»^٢.

قد نقل الكرمانى عن الخطيب كلاماً فى سبب تكرار هذا المفهوم لا يوجد فى نسخة الخطيب التى عندي، وهو:

«قد أجاب فيها بعض أهل النظر بأن قال: ذكر فى الآية الأولى عقوبته اياهم عندالموت كما فعله بآل فرعون ومن قبلهم من الكفار، وذكر فى الثانية ما يفعل بهم بعدالموت كما فعله بآل فرعون وما قبلهم، فلم يكن تكراراً».

ثم أضاف الكرمانى: «قال الخطيب والجواب عندي: ان الأول أخبار عن عذاب لم يمكن الله أحداً من فعله، وهو ضرب الملائكة وجوههم وادبارهم عند نزع ارواحهم.

والثانى، أخبار عن عذاب مكّن الناس من فعل مثله وهو الإهلاك والاغراق.

وقال الكرمانى: «قلت وله وجهان آخران محتملان: احدهما، كدأب آل فرعون فيما فعلوا، والثانى،

كدأب آل فرعون فيما فعل بهم، فهم فاعلون على الأول ومفعولون فى الثانى.

والوجه الآخر: ان المراد بالأول كفرهم بالله، وبالثنانى تكذيبهم بالأنبياء، لأن تقدير الآية: كذبوا الرسل بردهم آيات الله»^٣.

(تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)^٤.

^١ - تفسير مجمع البيان، ج ٤، ص ٤٨٢.

^٢ - تفسير الميزان، ج ٩، ص ١٠٤.

^٣ - البرهان فى توجيه متشابهات القرآن، الرقم ١٦٣.

^٤ - سورة آل عمران، آية ٢٧.

(إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغُبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْحَيِّ ذَا لِكُمْ اللَّهُ فَانَسَى تُوْفِكُونَ)¹.

(قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ)².

ونحوها مثل آية ٦١ من سورة الحج، و ١٩ من سورة الروم و ٢٩ من سورة لقمان، و ١٣ من سورة فاطر، و ٦ من سورة الحديد.

ذكر المفسرون فى خروج الحى من الميت وخروج الميت من الحى وجوها منها: يخرج المون من الكافر ويخرج الكافر من المون، يخرج الطيب من الخبيث ويخرج الخبيث من الطيب، يخرج الحيوان من النطقة والبيضة ويخرجهما من الحيوان، يخرج السنبله من الحبه والحبه من السنبله. فهذه الآيات جاءت لبيان اقسام مختلفه من تدبيرالله تعالى فى العالم العلوى والسفلى وتظهر اهميه كل آيه والمعانى المحتمله للميت فيها بعد ملاحظه سياقها.

(قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَّابٌ لَكِ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ * قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْرَاهِيمَ)³.

(قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا * قَالَ كَذَّابٌ لَكِ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتِكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا * قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا)⁴.

هذه الآيات جاءت لبيان بشاره زكريا وأمراهه بيحيى فى كبر سنّها، نعم مع ان هذه القصة قد تكررت فى موضعين من القرآن ولكن لا يخفى ما فيها من الاختلاف فى التقدم والتأخر وغيرهما، حتى تفيد

¹- سورة الأنعام، آية ٩٥ .

²- سورة يونس، آية ٣١ .

³- سورة آل عمران، آيتى ٤٠ و ٤١ .

⁴- سورة مريم، آيات ٨ الى ١٠ .

كل مجموعة المعنى المختص بها.

فقد تقدم «بلغنى الكبير» على «أمرتى عاقر» فى سورة آل عمران والعكس فى سورة مريم، بما أن الكبر وصف لذكريا والعقر وصف لأمرئة فيعرف ما فى هذا التقديم والتأخير من اللطافة. وأيضاً جاء فى موضع «الأيام» وفى سورة مريم «ليال» حتى يعرف أنه عليه السلام مأثور بعدم التكلم فى ثلاثة أيام بلياليها لا أحدهما دون آخر.

(قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَا لِكَ اللّٰهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ)¹.

(قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَا لِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا)².

هذه الآيات فى بيان قصة الولادة لنبى الله عيسى عليه السلام وقد تكررت لبيان اسرار لم تذكر وتفصيل لم يبين كما نرى فى ظاهر الآيات فضلاً عن تفسيرها.

(إِذْ قَالَتِ الْمَلَأَةُ كَءَ يَمْرئِمُ إِنَّ اللّٰهَ يَبْشُرُكَ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصّٰلِحِينَ * قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَا لِكَ اللّٰهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ * وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ * وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّٰهِ وَأُبْرِئُ الْكَلْمَةَ وَالأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللّٰهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَاتَ دَخْرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنْ فِى ذَا لِكَ لَا يَهْدِي لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ)³

(إِذْ قَالَ اللّٰهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالدَّتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ

¹- سورة آل عمران، آية ٤٧ .

²- سورة مريم، آيتى ٢٠ و ٢١ .

³- سورة آل عمران، آيات ٤٥ الى ٤٩ .

النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذِ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ^١.

هذه الآيات قد جاءت لبيان قصة النبي عيسى عليه السلام وأعجازه لإثبات نبوته من ولادته وتكلمه في المهد الى... فقد جاءت قصته عليه السلام في كلا السورتين لكشف وجوه مختلفة فيها كما نرى.

(إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ)^٢.

(وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ)^٣.

(إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ)^٤.

قد تكررت الآية في قصة النبي عيسى عليه السلام لبيان جزئيات مختلفة من القصة وأما جاء التأكيد في سورة الزخرف بضمير الفصل، لأن في هذه السورة تكلم عن الآلهة، فينبغي التأكيد على ان عيسى هو عبد من عباد الله تعالى ولكن في السورتين الأخريين قد بين قضية ولادته فيكفي اتيانه بلا تأكيد.

(وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)^٥.

(وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)^٦.

الاولى نزلت في واقعة أحد والثانية في بدر الكبرى فليس بتكرار.

(وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)^٧.

(سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ

^١ - سورة المائدة، آية ١١٠ .

^٢ - سورة آل عمران، آية ٥١ .

^٣ - سورة مريم، آية ٣٦ .

^٤ - سورة زخرف، آية ٦٤ .

^٥ - سورة آل عمران، آية ١٢٦ .

^٦ - سورة الانفال، آية ١٠ .

^٧ - سورة آل عمران، آية ١٣٣ .

وَرُسُلِهِ ذَا لِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ).^١

المراد من الآيتين واحد وهو الترغيب لأعمال الخير ببيان ثوابها، ولكن اختلفت العبارة فيها فالسرعة تكون قبل السبقة والمسابقة كانت بعد المسارعة، فالمسارع قد يسابق وقد لا يسابق.

وحذف المضاف في آل عمران لبيان ان عرض الجنة نفس السموات لامثلها، وجمع السموات في الأولى لشدة الترغيب فيها لأنها وقعت قبل آية الانفاق، والترغيب فيه ترغيب للانفاق، فكان المثل الاعلى لكسب المغفرة وسبب مهم لدخول الجنة.

(أَوَلَمْ يَكْ جَزَاءُ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ)^٢.

قد جاء توصيف الجنة بأنها تجري من تحتها الأنهار أكثر من أربعين موضعاً في القرآن وذلك لأن كل نعمة مادية ليس بنعمة حقيقة لأنها تكون مثاراً للحزن والأسف ولكن الخلود في الجنة ليس له امد ولا غاية فإنها نعمة حقيقية، هذا مع أنا عندما ننظر في سياق الآيات نرى مناسبات خاصة لسبب بيان هذه النعمة العظيمة.

(... قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ)^٣.

(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ)^٤.

(... فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ)^٥.

(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ)^٦.

قد تكرر الأمر بالتعقل في القرآن بطرق مختلفة واساليب متنوعة في هذه الآيات ونحوها

^١ - سورة الحديد، آية ٢١.

^٢ - سورة آل عمران، آية ١٣٦.

^٣ - سورة آل عمران، آية ١٣٧.

^٤ - سورة الانعام، آية ١١.

^٥ - سورة النحل، آية ٣٦.

^٦ - سورة النمل، آية ٦٩.

ك«العنكبوت، ٢٠؛ الروم، ٩ و ٤٤؛ فاطر، ٤٤؛ المؤمن، ٢١؛ محمد ١٠٩؛ ترويجا للفكر الصحيح ورداً على الايمان بلا درك وشعور، هذا مع اختلاف العبارات فى هذه الآيات واختلاف السياق فيها.

(لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)¹.

(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)².

الآيتان تتحدثان عن النعمة الالهية العظيمة وهى بعثة الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله وبرنامجه التعليمى والتربوى، فأية آل عمران نزلت بعد يأس المؤمنين فيما وقع عليهم من غزوة أحد، فالله تعالى بين أكبر نعمه على المؤمنين، وآية الجمعة اشارة الى بعثة الرسول والهدف الأساسى من رسالته.

(... يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ)³.

(... يَقُولُونَ بِالسِّنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)⁴.

المقصود من العبارتين واحد وهو توصيف المنافقين الذين يتخلفون عن الجهاد، اما الآية الاولى نزلت فى «عبدالله بن ابيسولول» وأصحابه حينما انفصلوا عن جيش الاسلام فى غزوة أحد، والآية الثانية نزلت بعد واقعة الحديبية، فان بعض الناس اعرضوا عن السفر مع رسول الله صلى الله عليه وآله للعمرة خوفاً من القتل فى مكة.

(فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ)⁵.

(وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ)¹.

¹ - سورة آل عمران، آية ١٤٤ .

² - سورة الجمعة، آية ٢ .

³ - سورة آل عمران، آية ١٤٧ .

⁴ - سورة الفتح، آية ١١ .

⁵ - سورة آل عمران، آية ١٨٤ .

(وَإِنْ يَكْذِبُوا فَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ)^٢
هذه الآيات نزلت تسلياً للنبي صلى الله عليه وآله حتى يصبر ويقف امام المشاكل والمصائب، فلا تغتم بتكذيبهم لأنه من دأبهم المستمر في الأمم السالفة. فيمكن ان يقال لما تكرر تكذيب الرسول من قبل المشركين، تكررت التسليية في القرآن.

(... وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ لَكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَأْتُمْ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا)^٣.

(... فَانكحوهنَّ بإذنِ أهلِهِنَّ وءاتوهنَّ أُجورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ...)^٤.

(... وَأَلْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْنَهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ)^٥.

الآية الاولى وصف للنساء الأحرار والثانية للجواري، والثالثة لأهل الكتاب فليس بتكرار.

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا)^٦.

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا)^٧.

١- سورة فاطر، آية ٤ .

٢- سورة فاطر، آية ٢٥ .

٣- سورة النساء، آية ٢٤ .

٤- سورة النساء، آية ٢٥ .

٥- سورة المائدة، آية ٥ .

٦- سورة النساء، آية ٤٨ .

٧- سورة النساء، آية ١١٦ .

نزلت الأولى في اليهود فهم الذين يحرفون كتاب الله وكلامه عن مواضعه، فختم الآية بـ «فقد افتري ائماً عظيماً» ونزلت الثانية في الكفار بعد بيان آيات عن قصة «بشير بن اليبريق» الذي سرق من أحد المسلمين وأتهم بريئاً وأراد ان يبرئ نفسه امام النبي صلى الله عليه وآله فارتدّ وكفر وضلّ، وكفره هو سبب لضلّالته ولهذا ختم الآية الشريفة بـ «فقد ضلّ ضلالاً بعيداً» فهو لو لم يرتد لم يصر محروماً من رحمته الله التي وسعت رحمته كلّ شيء ويغفر كلّ ذنب الا الشرك به.

قال صاحب الميزان في وجه التناسب للآيتين فقال في الآية الاولى:

«ظاهره السياق ان الآية في مقام التعليل للحكم المذكور في الآية السابقة، اعنى قوله: «آمنوا بما نزلنا مصداقاً لما معكم من قبل ان نطمس...» فيعود المعنى الى مثل قولنا، فانكم ان لم تؤنوا به كنتم بذلك مشركين، والله لا يغفر ان يشرك به فيحل عليكم غضبه وعقوبته فيطمس وجوهكم بردها الى ادبارها، أو يلعنكم، فنتيجة عدم المغفرة هذه ترتب آثار الشرك الدنيوية من طمس أو لعن عليه»^١.
وقال في الآية الثانية:

«الظاهر الآية أنّها في مقام التعليل لقوله في الآية السابقة «نوّله ما تولى ونصله جهنم» بناءً على اتصال الآيات، فالآية تدل على أنّ مشاققة الرسول شرك بالله العظيم وأنّ الله لا يغفر ان يشرك به»^٢.
وقال فخر الرازي في تفسيره:

«أعلم أنّ هذه الآية مكررة في هذه السورة وفي تكرارها فائدتان، الأولى: انّ عمومات الوعيد وعمومات الوعد متعارضة في القرآن، وأنّه تعالى ما اعاد آية من آيات الوعيد بلفظ واحد مرتين، وقد أعاد هذه الآية الدالة على العفو والمغفرة بلفظ واحد في سورة واحدة، وقد اتفقوا على أنّه لا فائدة في التكرير الاّ التأكيد وهذا يدل على أنّه تعالى خصّ جانب الوعد والرحمة بمزيد التأكيد وذلك يقتضى ترجيح الوعد على الوعيد. والفائدة الثانية: انّ الآيات المتقدمة (على الآية الثانية) انما نزلت في سارق الدرع، وقوله «من يشاقق الرسول» الى آخر الآيات انما نزلت في ارتداده، فهذه الآية انما يحسن

^١ - تفسير الميزان، ج ٤، ص ٣٧٩.

^٢ - تفسير الميزان، ج ٥، ص ٨٤.

اتصالها بما قبلها لو كان المراد ان ذلك السارق لو لم يرتد لم يصر محروماً عن رحمتي ولكنه لما ارتد
واشرك بالله صار محروماً قطعاً من رحمه الله»^١.

(وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ
جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)^٢.

(ذَا لِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)^٣.

(ذَا لِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)^٤.

الآية الاولى، نزلت في «بشير بن الابرق» السارق المرتد والثانية نزلت بعد غزوة بدر وانكسار شوكة
المشركين مع كثرتهم امام جيش المسلمين وهم قليلون.

والثالثة، نزلت بعد واقعة احد أو بدر بستة أشهر وفي اليهود من بنيالنظير، فهم نقضوا عهدهم على عدم
التعرض ثم عاهدوا المشركين وارادوا اغتيال رسول الله صلى الله عليه وآله وهجوه بشعر، فهم يتركوا
ديارهم واراضيهم ويرحلوا من المدينة مع ذلّة وذلك باقتراح النبي صلى الله عليه وآله منعاً لسفك
دمائهم.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن
يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّهُ أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)^٥.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا
اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)^٦.

^١ - تفسير الكبير، ج ١١، ص ٤٦.

^٢ - سورة النساء، آية ١١٥.

^٣ - سورة الأنفال، آية ١٣.

^٤ - سورة الحشر، آية ٤.

^٥ - سورة النساء، آية ١٣٥.

^٦ - سورة المائدة، آية ٨.

امر الله تعالى في الآية الأولى ان من عنده شهادة لا بد ان يقوم بالحق فيها ويشهد لله على كل ظالم حتى يصل الحق الى المظلوم، واما الآية الثانية فهي أمر للولاء ويدل عليه قوله تعالى «ولا يجرمكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا...» فهي تدل على الأمر بالعدالة للولى والعدو والله أعلم.

قال صاحب الميزان في وجه تكرار الآيتين كلاماً مفصلاً نقلناه بطوله للفوائد التي كانت في ضمنه: «أما الفرق بين الآيتين، ان آية النساء في مقام النهي عن الانحراف عن العدل في الشهادة لاتباع الهوى بان يهوى الشاهد المشهود له لقراءة ونحوها، فيشهد له بما ينتفع به على خلاف الحق وهذه الآية اعنى آية المائدة، في مقام الردع عن الانحراف عن العدل في الشهادة لشنآن وبغض من الشاهد للمشهود عليه، فيقيم الشهادة عليه يريد بها نوع انتقام منه ودحض لحقه وهذا الاختلاف في غرض البيان هو الذي أوجب اختلاف القيود في الآيتين، فقال في آية النساء «كونوا قوامين بالقسط شهداء لله» وفي آية المائدة «كونوا قوامين لله شهداء بالقسط»، وذلك ان الغرض في آية المائدة لما كان هو الردع عن الظلم في الشهادة لسابق عداوة من الشاهد للمشهود عليه، قيد الشهادة بالقسط، فأمر بالعدل في الشهادة وان لا يشتمل على ظلم حتى على العدو، بخلاف الشهادة لأحد بغير الحق لسابق حب وهوى، فانها لا تعد ظلماً في الشهادة وانحرافاً عن العدل وان كانت في الحقيقة لا تخلو عن ظلم وحيث، ولذلك أمر في آية المائدة بالشهادة بالقسط، وفرعه على الأمر بالقيام لله وأمر في آية النساء بالشهادة لله أى ان لا يتبع فيها الهوى وفرعه على الأمر بالقيام بالقسط. ولذلك أيضاً فرّع في آية المائدة على الأمر بالشهادة بالقسط قوله «اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله» فدعا الى العدل وعده ذريعة الى حصول التقوى، وعكس الأمر في آية النساء فرّع على الأمر بالشهادة لله قوله «فلا تتبعوا لهوى ان تعدلوا» فنهى عن اتباع الهوى وترك التقوى وعده وسيلة سيئة الى ترك العدل»^١.

(إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا قَدِيرًا)^٢.

(إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخَفُّوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)^١.

^١ - تفسير الميزان، ج ٥، ص ٢٤١.

^٢ - سورة النساء، آية ١٤٩.

نزلت الاولى بعد آية:

(لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا) ١.

فتشير الآية الى اباحة التحدث عن محاسن الافراد او كتمانها خلافاً للمساوى التي لا بد ان تكتم الا للمظلوم فى مقام الدفاع عن نفسه.

ونزلت الثانية بعد آية:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَظْرِينَ إِنَّمَا أَنْزَلَ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسِينِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَا لَكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيِّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَا لَكُمْ أَظْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَا لَكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا) ٢.

فتشير الآية الى ان الله يعلم ما خططتم له فى سبيل اىذاء النبى صلى الله عليه وآله تبذره على السنتكم أو تخفوه.

وقد بين الخطيب الاسكافى ما فى الآيتين من الاختلاف فى الألفاظ وما ختما به، فراجع.

(... أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهِمَّةَ الْأَنْعَمِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحَلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ) ٤.

(... وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَمَ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) ٥.

الآية الثانية جاءت فى ضمن بيان أحكام الحج بخلاف الآية الأولى.

(... يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا...) ٦.

١- سورة الأحزاب، آية ٥٤.

٢- سورة النساء، آية ١٤٨.

٣- سورة الأحزاب، آية ٥٣.

٤- سورة المائدة، آية ١.

٥- سورة الحج، آية ٣٠.

٦- سورة المائدة، آية ٢.

(... يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا...)¹.

(... يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا...)².

يختلف معنى الفضل بمقتضى سياق الآيات، ففي الأولى بمعنى المال والتجارة والكسب الحلال، والثانية بمعنى العطيّة والثواب لاعمالهم من الركوع والسجود. والثالثة وان كانت بهذا المعنى ولكن ترتب على عمل آخر وهو اخراج المهاجرين من ديارهم واموالهم، فهم يهاجرون الى الله تعالى ابتغاءً لثوابه، لا للدنيا أو شئ منها.

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ)³

(... وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)⁴.

وعدالله تعالى فى الآية الأولى الذين كانوا قوامون لله تعالى وهم المتقون وفى الثانية الذين كانوا مع النبى الخاتم صلى الله عليه وآله الراكعون الساجدون الذين ترى فى سيماهم أثر السجود.

(فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا وَتَسَوُّوا حِطًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهَا...)⁵.

(وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَى أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهَا...)⁶.

الاولى فى نقض عهد اليهود الذى اخذه الله عليهم من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة، والثانية فى نقض عهد النصارى الذى نسوا حقيقة التوحيد وعلام النبى الخاتم والبشارة به.

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَّا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهَا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)⁷.

¹- سورة الفتح، آية ٢٩.

²- سورة الحشر، آية ٨.

³- سورة المائدة، آية ٩.

⁴- سورة الفتح، آية ٢٩.

⁵- سورة المائدة، آية ١٣.

⁶- سورة المائدة، آية ١٤.

⁷- سورة المائدة، آية ٣٦.

(اللَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِي أَوْلَبِءِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوِلَهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ).^١

جواب الشرط في آية الرعد جملة «لافتدوا به» وفي آية المائدة «ما تقبل منهم» والمقصود من هذا التمثيل هو أن العذاب سيثبت لهم ولا سبيل إلى الخلاص منه، نعم التمثيل كان على وجه الحقيقة، لأنَّ الإنسان ذاتاً يحب نفسه بالنسبة إلى كلِّ شيءٍ فإذا وقع في المم وتعب لافتدى بكلِّ ماله وحتى لو كان مالكا لكلِّ شيءٍ لافتدى به.

(... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ).^٢

(... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ).^٣

(... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ).^٤

ختم كلِّ آية بما يناسبها، لأنَّ من يخشى من الناس ويشترى بآيات الله ثمناً قليلاً فهو كافر، ومن لم يحكم بالقصاص فهو ظالم، ومن استكبر ولم يحكم بما أقرَّ به المسيح عليه السلام من أهل الكتاب فهو فاسق والفسق أعظم من الكفر لآيات كثيرة نحو:

(... إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ...)^٥

(وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَتُورًا وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ).^٦

(ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِرِسُلَانَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ

^١ - سورة الرعد، آية ١٨ .

^٢ - سورة المائدة، آية ٤٤ .

^٣ - سورة المائدة، آية ٤٥ .

^٤ - سورة المائدة، آية ٤٧ .

^٥ - سورة الكهف، آية ٥٠ .

^٦ - سورة المائدة، آية ٤٦ .

رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ^١ .
قد تقدّم على آية المائدة حكم بنياسرائيل من افعالهم وتحريف كتبهم ونقض ميثاقهم وقتلهم الأنبياء
وحكمهم بغير ما انزل الله، ثم جاء «وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم...» وأما آية الحديد لم يكن
قبلها شيء من ذلك، بل هي سورة مشتملة على الوعد والوعيد، والآية نزلت في هذا المجال
بعد ذكر نبوة نوح و ابراهيم عليهما السلام و انبياء من نسلهم و ذريتهم، فبعض منهم مؤمن و اكثرهم
فاسقون.

(وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ)^٢ .
(وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ)^٣ .
التكرار في اطيعوا بدل ان يقال «اطيعوا الله والرسول» لاختلاف الطاعة، فالاطاعة لله تعالى على وجه
والاطاعة للرسول على وجه آخر.

الاطاعة لله تعالى كان بمنزلة الانقياد له بشرايع دينه وقوانينه في كتبه بأنه معبود ويستحق الطاعة.
والاطاعة لرسول الله صلى الله عليه وآله هي بمنزلة اتباع امره بحسب ولايته، فلما كان هذا الاتباع
بامر الله تعالى فاطاعة رسوله اطاعة لله نفسه، فالطاعتان طوليتان وليستا بعرضيتين. فاطاعة الرسول
كانت بعد اطاعة الله تعالى.

والسرّ تكرار الآيتين، ان المراد بالطاعة في المائدة، الطاعة في الفروع نحو الاجتناب من الخمر
والميسر واللغو في الايمان وغير ذلك مما سبق على الآية في نفس السورة.

والمراد بالطاعة في التغابن بملاحظة السياق هو ايقاظ الناس بالتدبر في آيات الله، حيث كانت تبحث
السورة من البداية في التوحيد وصفات الله تعالى والمعاد.

(... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)^٤ .

^١ - سورة الحديد، آية ٢٧ .

^٢ - سورة المائدة، آية ٩٢ .

^٣ - سورة التغابن، آية ١٢ .

^٤ - سورة المائدة، آية ١١٩ .

(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَا لِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)¹.

(... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أَوْلِيَاءَ لِكِ حِزْبِ اللَّهِ الْأَإِنِّ حِزْبِ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)².

(... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَا لِكِ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ)³.

الضمير فى كل آية يرجع الى بعض الناس، فالمرضىون فى الأولى، الذىن انجزوا ما كلّفوا به من مسئولىة ورسالة ولم يسيروا الا فى طريق الصدق، مثل المسيح عليه السلام واتباعه واتباع سائر الانبياء الصادقين، وفى الثانية السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذىن تبعوهم باحسان، وفى الثالثة الذىن يؤنون بالله واليوم الآخر ولا يوادون من حادالله ورسوله، وفى الرابعة الذىن آمنوا وعملوا الصالحات وهم على عليه السلام واتباعه، فعندما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام : هو انت وشيعتك، تاتى انت وشيعتك يوم القيمة راضيين مرضيين، ويأتى عدوك غضباناً مقمحين»⁴.

(وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ)⁵.

(وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ * فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ)⁶.

هذه الآيات تشير الى انحراف الإنسان خطوة خطوة، فعندما كذب آيات الله عندالمواجهة اليها اعرض عنها، ثم استهزء بها.

¹- سورة التوبة، آية ١٠٠ .

²- سورة المجادلة، آية ٢٢ .

³- سورة البينة، آية ٨ .

⁴- شواهد التنزيل، حديث ١١٢٦ .

⁵- سورة الأنعام، آيتى ٤ و ٥ .

⁶- سورة الشعراء، آيتى ٥ و ٦ .

فالآيتين في الانعام كانتا موجّهتان الى المشركين وبيان عنادهم تجاه الحق.
 واما الآيتين في الشعراء بملاحظة نزولها بعد: (لَعَلَّكَ بَخِخُ نَفْسِكَ اَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)¹ تشير الى ان
 الله تعالى يمكن له ان يجعل المشركين مؤمنين كلهم ولكنهم يعرضون عن الحق ويكذبونه ويستهنئون
 به.

(... اَلَّذِينَ خَسِرُوا اَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)².

(... اَلَّذِينَ خَسِرُوا اَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)³.

الآية الاولى نزلت في الكفار والمشركين الذين يكذبون آيات الله ويستهنئون بالأنبياء، والثانية نزلت
 في أهل الكتاب الذين يعرفون النبي الخاتم صلى الله عليه وآله معرفة تامة كما يعرفون ابنائهم بعلاماتهم
 الدقيقة وخصائص التفصيلية.

(وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ اِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)⁴.

(وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ اِلَّا هُوَ وَإِن يردِكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن
 يَشَاءُ مَن عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)⁵.

الآية الثانية كانت اعم بالنسبة الاولى، فهي تشمل جميع الناس.

(وَمَن اَظْلَم مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا اَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ اِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ)⁶.

(وَمَن اَظْلَم مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا اَوْ قَالَ اُوْحَى اِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ اِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ
 مَا اُنزِلَ...)⁷.

¹ - سورة الشعراء، آيتى ٣ و ٤ .

² - سورة الأنعام، آية ١٢ .

³ - سورة الأنعام، آية ٢٠ .

⁴ - سورة الأنعام، آية ١٧ .

⁵ - سورة يونس، آية ١٠٧ .

⁶ - سورة الأنعام، آية ٢١ .

⁷ - سورة الأنعام، آية ٩٣ .

(... فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَإِيهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)^١.
 تكررت العبارة في هذه الآيات ونحوها مثل سورة الأعراف، آية ٣٧؛ سورة يونس، آية ١٧؛ سورة
 الكهف، آية ١٥؛ سورة العنكبوت، آية ٦٨؛ سورة الزمر، آية ٣٢؛ سورة الصف، آية ٧ وهذا لأن
 للظلم في كل آية من هذه الآيات وغيرها معنى قد يختلف عما في الآيات الأخرى، ويعرف ذلك
 بملاحظة السياق، لأن كل آية نزلت تفريراً على ما قبلها.

(وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا إِيَّاهِ
 لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ)^٢.
 (وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ)^٣.

نزلت الآية الأولى في نفر من مشركي مكة منهم «النضر بن الحارث» و«أبوسفيان بن حرب»
 و«الوليد بن مغيرة» و«عتبة بن ربيعة» واخوه «شيبه» وغيرهم، فهم استمعوا الى رسول الله
 صلى الله عليه وآله وهو يقرأ القرآن، فقالوا للنضر: ما يقول؟ فقال: اساطير الأولين مثل ما احدثكم عن
 القرون الماضية فانزل الآية، ونزلت الثانية في جمع الكفار بلاسبب خاص على كلامه ومن هذا جاءت
 بلفظ الجمع «يستعمون»

(وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ)^٤.
 (أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ * إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ)^٥.
 (إِنْ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ * إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ)^٦.
 في الآية الأولى احتمالان وهما:

^١ - سورة الأنعام، آية ١٤٤.
^٢ - سورة الأنعام، آية ٢٥.
^٣ - سورة يونس، آية ٤٢.
^٤ - سورة الأنعام، آية ٢٩.
^٥ - سورة الصافات، آيتي ٥٨ و ٥٩.
^٦ - سورة الدخان، آيتي ٣٤ و ٣٥.

١ - انما الكفار والمشركين طلبوا ارجاعهم الى الدنيا لإصلاح امورهم وترك ذنوبهم «فقالوا يا ليتنا نردّ ولا نكذبّ بايات ربّنا»، ولكن القرآن يعتقد بأنهم اذا رجعوا الى الدنيا، يعاودوا ما كانوا عليه وقالوا: انّ هي الاّ حياتنا الدنيا... .

٢ - انّ الآيّة تبحث عن بعض المشركين الذين ينكرون المعاد من رأس خلافاً لبعضهم المعتقدون بنوع منه.

والآيّة الثانية من جملة حاجة وقعت بين من هو في الجنة وقرينه في جهنم، فهو يراه في سواء الجحيم، ثم يقول له: الم تكن انت قائل لي في الدنيا باننا لا نموت ولا نحيا، وتقول: افما أنت بميتين؟

والآيّة الثالثة حكاية قول المشركين في انكار المعاد.

(وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) ٢.

(إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) ٣.

(وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) ٤.

اخبرت هذه الآيات عن اعتقاد المنكرين والدهريين في إنكار البعث والمعاد، وقد تكررت لتكرار عقيدتهم الفاسدة وذكر البراهين الساطعة والمختلفة على ردّها.

(وَمَا لِحَيَوٰةِ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وِلْدَارٌ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) ٥.

(وَمَا هَذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوٰانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) ٦.

١ - سورة الأنعام، آية ٢٧ .

٢ - سورة الأنعام، آية ٢٩ .

٣ - سورة المؤمنون، آية ٣٧ .

٤ - سورة الجاثية، آية ٢٤ .

٥ - سورة الأنعام، آية ٣٢ .

٦ - سورة العنكبوت، آية ٦٤ .

(إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تُوْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ).
 (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ
 غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَلَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ
 مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتْعٌ الْغُرُورِ).^١

تقدم اللعب في غير العنكبوت لأنه هو مقتضى طبيعة الإنسان فإنه يلعب قبل ان يلهو بسنين، وما في العنكبوت، فان السائل يسألهم عند بلوغهم (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماءً فأحيا بهي الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون)^٢ ويلزم في هذا السن ان يقدم اللهو لأنه قد تجاوز عن زمن اللعب.

وإما علة التكرار في هذه الآيات فهي لاختلاف مقتضاها ولبيان اشياء آخر لم تذكر في آية واحدة.

(... وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ).^٣

(... وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ).^٤

(... وَلِدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ).^٥

فقد تكرر ثلاث مرات، فالدار في الآية الأولى جاءت باللام الموطئة للقسم وفي الآيتين الأوليين كانت الآخرة وصفاتها، رعاية لنظم الكلام وحتى ان تتطابق مع ما تقدم عليهما، فحينما تقدم على آية الأنعام «حياتنا الدنيا» وفي الأعراف «هذه الأدنى» فقبول كليهما بان الدار الآخرة خير، وهذا بخلاف الثالثة فجاءت مضافة الى الآخرة، والسر في تكرارها قد مر بيانه.

(وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ).^٦

^١ - سورة محمد صلى الله عليه وآله ، آية ٣٦ .

^٢ - سورة الحديد، آية ٢٠ .

^٣ - سورة العنكبوت، آية ٦٣ .

^٤ - سورة الأنعام، آية ٣٢ .

^٥ - سورة الأعراف، آية ١٦٩ .

^٦ - سورة يوسف، آية ١٠٩ .

^٧ - سورة الأنعام، آية ٣٧ .

(وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ)¹.

تشير الآية الأولى الى اعتذار المشركين فهم عند عجزهم عن تحدى القرآن واثيان سورة مثله على الأقل، قالوا: لا يفيدنا هذا فاين اعجازك ان كنت من الصادقين!!! فات بمعجزات مثل ما اتى به موسى وصالح وغيرهما من الأنبياء. ويمكن ان نقول فى الآية الثانية ان هذه الاقتراحات كانت من قبل أهل الكتاب وذلك بشهادة السياق مع أنه يمكن ان نقول بتعدد هذه الاقتراحات الباطلة.

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَلَكُمُ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)².

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَلَكُمُ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ)³.

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَلَكُمُ عَذَابُهُ بَيِّنَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ)⁴.

هذا من أحسن وجوه البيان الذى مرّ بحثه سابقاً وهو بيان سؤل واحدة بألفاظٍ مختلفة، فيها ذكر الدليل بلطافة خاصة مع مالها من الأهمية.

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ)⁵.

(وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ)⁶.

تشير الآية الأولى الى احوال الامم الماضية ووجود عوامل التربية والوعى لهم، بينما تقدّم على الآية الثانية قصة بعض الأنبياء من آدم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب،

¹ - سورة العنكبوت، آية ٥٠ .

² - سورة الأنعام، آية ٤٠ .

³ - سورة الأنعام، آية ٤٧ .

⁴ - سورة يونس، آية ٥٠ .

⁵ - سورة الأنعام، آية ٤٢ .

⁶ - سورة الأعراف، آية ٩٤ .

فالأية تنظر الى هلاك أقوام هوء الأنباء.

(قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِبُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ)¹.

(وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِبُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ)².

الآية الأولى خطاب رسول الله صلى الله عليه وآله في قبال اقتراحات المشركين الباطلة بمشاهدة معجزات عينية، والثانية خطاب لنوح عليه السلام ردًا لادعاءات كاذبة في حقه بان له خزائن الله وله علم الغيب وانه ملك.

(... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ)³.

(وَيَقَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ)⁴.

(يَقَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ)⁵

وكذا آية ١٠٤ في سورة يوسف، و ٥٧ في سورة الفرقان، و ١٠٩ و ١٢٧ و ١٤٥ و ١٦٤ و ١٨٠ في سورة الشعراء، و ٨٦ في سورة ص . و ٢٣ في سورة الشورى، فالآية الأولى من هود في حق نوح والثانية منها في حق هود، وآيات الشعراء في حق نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام وآية الأنعام ويوسف والفرقان و ص والشورى، في حق نبينا محمد صلى الله عليه وآله ولكن قد عرفت ما فيها من الاختلاف في الألفاظ لبيان مفاهيم جديدة مضافا الى سياقها المختلف.

(... وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ)⁶.

¹ - سورة الأنعام، آية ٥٠ .

² - سورة هود، آية ٣١ .

³ - سورة الأنعام، آية ٩٠ .

⁴ - سورة هود، آية ٢٩ .

⁵ - سورة هود، آية ٥١ .

(وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) ٢.

(وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) ٣.

اداء الفريضة والمحافظة عليها وصف مهم للمؤمن وبها يعرف المؤمن من الكافر وقد تكرر اقامة هذه الفريضة فى ضمن أوصاف أخرى للمؤمن فى كل سورة.

(إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) ٤.

(... إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى) ٥.

(إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) ٦.

يعرف مصداق الهداية والضلالة من الآيات السابقة على كل واحدة من هذه الآيات، فالمصداق فى الآية الأولى التابعين للعلم أو الظن، وفى الآية الثانية الذين لا يؤنون بالله واليوم الآخر والذين يسمون الملائكة اناثاً، وفى الثالثة الذين لا يؤنون بالنبي الخاتم صلى الله عليه وآله والذين يقولون أنه المفتون، على أنه ورد فى تفسير الآية الثالثة لعبدالله الحسكاني رواية هكذا نصها:

«أخبرنا السيد أبو الحمد مهدي بن نزار الحسيني القائي؛ ، قال: حدثنا الحاكم أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله الحسكاني، قال: حدثنا أبو عبدالله الشيرازي، قال حدثنا أبو بكر الجرجاني، قال: حدثنا أبو أحمد البصري، قال: حدثني عمرو بن محمد بن تركي، قال: حدثنا محمد بن الفضل، قال: حدثنا محمد بن شعيب، عن عمرو بن شمر، عن دلهم بن صالح، عن الضحاک بن مزاحم، قال: لما رأته قريش تقديم النبي صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام واعظامه له، نالوا من علي، وقالوا: قد افتتن به محمد، فانزل الله تعالى «ن والقلم وما يسطرون» قسم أقسم الله به «ما انت» يا محمد «بنعمة ربك

١- سورة الأنعام، آية ٩٢ .

٢- سورة المؤمنون، آية ٩ .

٣- سورة المعارج، آية ٣٤ .

٤- سورة الأنعام، آية ١١٧ .

٥- سورة النجم، آية ٣٠ .

٦- سورة القلم، آية ٧ .

بمجنون، وأنك لعلى خلق عظيم» يعنى القرآن الى قوله «بمن ضله عن سبيله» وهم النفر الذين قالوا ما قالوا، «وهو اعلم بالمهتدين» على بن ابيطالب عليه السلام^١.
(ذَا لِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَفْلُونَ)^٢.
(وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ)^٣.
(وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رُسُلًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ)^٤.

ان هذه الآيات تشير الى سنه الله الجارية فى كل زمن وهو عقاب المنكرين والمكذبين بعد ارسال الرسول ومع هذا كل آية يحتوى على لطائف ففى الاولى ان العقوبة على الغافلين يعتبر ظلماً والثانية تشير الى ان المجتمع ان كان ظالماً ولكنه فيه من يقوم باصلاحه فهلاك هذا المجتمع يعتبر ظلماً بخلاف المجتمع الذى لا يكون فيه المصلح، وهذا يعرف بملاحظة التفاوت بين كلمتى «مصلحون» و «الصالحون» وعلى هذا فلا يوجد تكرار.

(قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقَبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)^٥.

(وَيَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ)^٦.
(قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ)^٧.

الآية الأولى والثالثة وعيد للكفار والمشركين فأمرالله تعالى رسوله ان يهدد الذين لم يستسلموا

^١ - تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٨٧.

^٢ - سورة الأنعام، آية ١٣١.

^٣ - سورة هود، آية ١١٧.

^٤ - سورة القصص، آية ٥٩.

^٥ - سورة الأنعام، آية ١٣٥.

^٦ - سورة هود، آية ٩٣.

^٧ - سورة الزمر، آية ٣٩.

لمنطق العقل ولم يستجيبوا لنداء الوجدان مع ان الآية الاولى نزلت بعد وعيد آخر قبلها والآية الثانية تهديد من شعيب عليه السلام، قال صاحب الميزان:

«وهذا تهديد من شعيب أشد التهديد، فإنه يشعر بأنه على وثوق مما يقول لا يأخذه قلق واضطراب من كفرهم به وتمردهم عن دعوته، فليعلموا على مالهم من القوة والتمكين، فلهم عملهم وله عمله»^١.
(سَيُقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَا لَكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ)^٢.

(وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَا لَكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)^٣.

أشارتا هاتان الآيتان الى استدلال المشركين لعقيدتهم الفاسدة بأن كل ما عملوه وكل ما اعتقدوه فهو موافق لرضى الله تعالى، لأن سكوته دليل على رضاه ولولم يكن راضياً بها لوجب منعهم عنها. وفي الأولى أضاف الله تعالى ان منشاء هذه العقيدة الفاسدة هو اوهام خيالية وان الله لم يسكت بل له الحجة بالغة بحيث لا يبقى مجال للشك والترديد لأحد.

(قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقَ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا أَلْفَاكًا حَشًا مَّا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَا لِكُمْ وَصَلَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)^٤.

(وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيئَةً إِمْلَقَ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَتْ خَطَا كَبِيرًا)^٥.

ففي الآية الأولى، كان الاملاق سببا للقتل وختم الآية بـ «نحن نرزقكم واياهم» فتقديم الرزق لهم ثم

^١ - تفسير الميزان، ج ١٠، ص ٣٦٤.

^٢ - سورة الأنعام، آية ١٤٨.

^٣ - سورة النحل، آية ٣٥.

^٤ - سورة الأنعام، آية ١٥١.

^٥ - سورة الأسراء، آية ٣١.

لأولادهم كانت لدفع هذا التوهم، وأما الآية الثانية قد نهت عن القتل لخشية الفقر والخوف منه فالخشية كانت علة للقتل لانفس الاملاق فقدم الله تعالى رزق الاولاد حتى تذهب هذه الخشية المذمومة من نفوسهم.

قال صاحب الميزان رحمه الله عليه في تفسير الآية الثانية:

«وقد تكرر في كلامه تعالى النهي عن قتل الاولاد خوفاً من الفقر وخشية من الاملاق وهو مع كونه من قتل النفس المحترمة التي يباليغ كلامه تعالى في النهي عنه، انما افرد بالذكر واختص بنهي خاص لكونه من اقبح الشقوه وأشدّ القسوة ولأنهم (كما قيل) كانوا يعيشون في اراضى يكثر فيها السنة ويسرع اليها الجذب، فكانوا اذا لاحت لوائح الفاقة والاعسار بجذب وغيره بادروا الى قتل الاولاد خوفاً من ذهاب الكرامة والعزة»^١.

(قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)^٢.

(قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ)^٣.

(قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ)^٤.

قدم وجه التكرار في القصص القرآنية وكان من أهمها تكرار القصة لبيان جهات مختلفة منها لم تذكر من قبل مع ان «المنع» في الآية الاولى متضمن معنى حمل اى ما حملك.

(وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ)^٥.

(قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ)^٦.

^١ - تفسير الميزان، ج ١٣، ص ٨٣.

^٢ - سورة الأعراف، آية ١٢.

^٣ - سورة الحجر، آية ٣٢.

^٤ - سورة ص، آية ٧٥.

^٥ - سورة الأعراف، آية ٣٤.

^٦ - سورة يونس، آية ٤٩.

(وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْزِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) .^١

الآيات كلها، تشير الى قانون كلى لكل البشرية فكلهم ينتظرون حتى يأتى أجلهم فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون.

نعم الآيتان الاوليتان تشيران الى فناء الأمم، فان للامم بقاء وفناء كما ان الناس يحيون ويموتون، والآية الثالثة كانت جواباً لهذا السؤل وهو: لماذا لا يعذب الله المذنبين بذنوبهم العظيمة؟ ولماذا تأخر أجلهم حتى ان تأخيره صار سبباً للافساد والفساد؟

(... أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ) .^٢

(أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) .^٣

هاتان الآيتان قد فسرتا الظالمين وشارتا الى علة ظلمهم ولكن الأولى منهما قول مؤن بين أهل الجنة والنار عند اعترافهم بوصول ما وعد الله لهم، والثانية قول الاشهاد فى المحشر عند ما يعرض الكاذبون على ربهم.

(وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) .^٤

(وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا * لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسِيًا كَثِيرًا) .^٥

^١ - سورة النحل، آية ٦١ .

^٢ - سورة الأعراف، آيتى ٤٤ و ٤٥ .

^٣ - سورة هود، آيتى ١٨ و ١٩ .

^٤ - سورة الأعراف، آية ٥٧ .

^٥ - سورة الفرقان، آيتى ٤٨ و ٤٩ .

(اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ).^١

الرياح هي السبب لنزول الرحمة الالهية من غيث السماء والبخارة بها، وتكرارها لأهميتها وليبيان جزء آخر من جوانب الرحمة الالهية فلا بأس به.

(أَبْلَغُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَأَنْصَحْ لَكُمْ وَأَعْلَمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ).^٢

(أَبْلَغُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ).^٣

(فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ).^٤

(فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ).^٥

الآية الأولى في قصة نوح والثانية في قصة هود والثالثة في قصة صالح والرابعة في قصة شعيب، وبما انّ الابلاغ في قصة نوح وهود وقع في ابتداء الرسالة جاءت الآية بلفظ مستقبل «ابلغكم» وانّ الابلاغ في قصة صالح وشعيب وقع في آخر الرسالة «وقريباً من العذاب فجاء بلفظ الماضي «بلغتكم».

(فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ).^٦

(فَكَذَّبُوهُ فَجَبْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْبًا وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ).^٧

^١ - سورة الروم، آية ٤٨ .

^٢ - سورة الأعراف، آية ٦٢ .

^٣ - سورة الأعراف، آية ٦٨ .

^٤ - سورة الأعراف، آية ٧٩ .

^٥ - سورة الأعراف، آية ٩٣ .

^٦ - سورة الأعراف، آية ٦٤ .

^٧ - سورة يونس، آية ٧٣ .

قد تكررت الآيات في خلال قصة نوح عليه السلام وقد مرّ وجهها.

(... هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)^١.
(وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ)^٢.

(قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ لَهَا شَرِبٌ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ * وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ)^٣.

تكررت الآيات في ضمن قصة قوم ثمود وما وقع بينهم وبين نبيهم في قضية الناقة، وقد جاءت لبيان مواضع آخر من القصة.

(فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ)^٤.

(وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثِيمِينَ)^٥.

قد تكررت الآيات في ضمن قصة قوم ثمود ومرّ البحث عنهما.

(وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِي أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ * وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِي إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْتَهَرُونَ * فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ)^٦.

(وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِي أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ * أَبِئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِي إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ

^١ - سورة الأعراف، آية ٧٣ .

^٢ - سورة هود، آية ٦٤ .

^٣ - سورة الشعراء، آيتي ١٥٥ و ١٥٦ .

^٤ - سورة الأعراف، آية ٧٨ .

^٥ - سورة هود، آية ٦٧ .

^٦ - سورة الأعراف، آيات ٨٠ الى ٨٤ .

إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ * فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا مِنْهَا مِنَ الْغَابِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا
فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ^١.

(وَلَوْ طَآءً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * أَبَيْنَا لَكُمْ لَتَاتُونَ
الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ
اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ)^٢.

ان التكرار في هذه الآيات كان في خلال قصة قوم لوط وقد مرّ البحث عن سرّ هذا النوع من التكرار
ولكن يمكن ان نقول: أن اختلاف الألفاظ في هذه الآيات يدل على معاني جديدة بالنسبة اليها، فمثلاً
الاستفهام في آية الأعراف كانت لبيان شدة التوبيخ و... .

(وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ
فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَا لِكُمْ خَيْرٌ
لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)^٣.

(وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ
إِنِّي أُرْسِلُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ)^٤.

(وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ)^٥.

قد تكررت الآية في خلال قصة شعيب وقومه.

(تِلْكَ الْأَقْرَبُ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا

^١ - سورة النمل، آيات ٥٤ الى ٥٨ .

^٢ - سورة العنكبوت، آيات ٢٨ الى ٣٠ .

^٣ - سورة الأعراف، آية ٨٥ .

^٤ - سورة هود، آية ٨٤ .

^٥ - سورة العنكبوت، آية ٣٦ .

مِنْ قَبْلُ كَذًا لِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ^١ .

(ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِيَ مِنْ قَبْلُ
كَذًا لِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ)^٢ .

نزلت الآية الأولى بعد قصة شعيب والثانية بعد قصة نوح عليهما السلام .

(قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَآتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ *
وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ...)^٣ .

(قَالَ أَوْلَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ * قَالَ فَآتِ بِهِيَ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ
مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ)^٤ .

قد تكررتا في خلال قصة موسى وترى فيهما اشياء لم يذكر الا مرة واحدة.

(قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ)^٥ .

(قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أُلْقَى)^٦ .

يمكن ان نقول؛ ان الاختلاف في العبارتين مع انهما حكاية لقول السحرة لانفس قولهم لرعاية الفاصلة
أو لعل التكرار جاء من قبل السحرة فهم يقولون هذا الكلام في موضعين أو موضع واحد ولكن تكرر
كلامهم، أو بعضهم يقولون بهذا وبعضهم بهذا، أو يقولون بلفظ واحد وقد تغير في اللغة العربية.

(وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَجْدِينَ * قَالُوا ءَأَمْنَا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ)^٧ .

(وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَحْرِ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى)^٨ .

^١ - سورة الأعراف، آية ١٠١ .

^٢ - سورة يونس، آية ٧٤ .

^٣ - سورة الأعراف، آيات ١٠٦ الى...

^٤ - سورة الشعراء، آيات ٣٠ الى ٣٣ .

^٥ - سورة الأعراف، آية ١١٥ .

^٦ - سورة طه، آية ٦٥ .

^٧ - سورة الأعراف، آيات ١٢٠ الى ١٢٢ .

^٨ - سورة طه، آية ٦٩ .

(فَأَلْفَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ * قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ).

قد تكررت الآيات في خلال تكرار القصة وذلك لبيان ما لم يذكر من قبل والاختلاف الذي كان في ترتيب كلماتها انما هو لوجوه منها لرعاية الفاصلة.

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ).

(ويَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ...).

قد جاء في سبب نزول آية الأعراف، ان قريشاً ارسلت عدة الى نجران ليسألوا اليهود مسائل ثم يلقوها على النبي لكشف عجزه عن اجابتهن ومن جملتها عن الساعة ايان مرسيتها؟ فقال اليهود لقريش ان اجاب النبي عن هذا السؤال فهو كاذب لان علمه عندالله تعالى.

واما ما جاء في سورة يونس فهو كلام مشركى عصر النبي صلى الله عليه وآله فهم يريدون بهذا التسائل القاء الشك في قلوب الناس، واما تقدم النفع على الضرر كما في سورة الأعراف أو عكسها في سورة يونس فقال الكرمانى فيها:

«أكثر ما جاء في القرآن من لفظي الضر والنفع معاً جاء بتقديم لفظ الضر على النفع، لأن العابد يعبد معبوده خوفاً من عقابه اولاً ثم طمعاً في ثوابه ثانياً، يقويه قوله «يدعون ربهم خوفاً وطمعاً»^٤ وحيث تقدم النفع على الضر تقدم لسابقة لفظ تضمن نفعاً وذلك في ثمانية مواضع (من القرآن).»^٥.

^١ - سورة الشعراء، آيات ٤٦ الى ٤٨ .

^٢ - سورة الأعراف، آيتى ١٨٧ و ١٨٨ .

^٣ - سورة يونس، آيتى ٤٨ و ٤٩ .

^٤ - سورة السجدة، آية ١٦ .

^٥ - البرهان في توجيه متشابه القرآن، رقم ١٦٠ .

(وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)¹.

(وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)².

النزغ بمعنى الدخول فى عمل لافساده وله معنى عام يطلق على جميع الوسوس الشيطانية بجميع أنواعها.

قال الاسكافى فى تنكير لفظين «السميع والعليم» فى سورة الأعراف بخلاف ما جاء فى سورة فصلت:

«انَّ الأوَّلَ وقع فى فاصلة ما قبلها من الفواصل افعال جماعة أو اسماء مأخوذة من الأفعال من نحو قوله: فتعالى الله عما يشركون، وبعده يخلقون وينصرون ويبصرون، والجاهلين فأخرجت هذه الفاصلة بأقرب ألفاظ الاسماء الموديّة معنى الفعل اعنى النكرة وكان المعنى استعذ بالله أنه يسمع استعازتك ويعلم استخارتك.

والتي فى سورة حم سجده قبلها فواصل يسلك بها طريق الاسماء وهى ما فى قوله تعالى «ادفع بالتي هى أحس...» فقوله «ولى حميم» ليس من الأسماء التى يراد بها الافعال... فأخرج «سميع عليم» بعد فواصل التى هى على سنن الاسماء على لفظ يبعد عن اللفظ يوى معنى الفعل فكأنه قال: أنه هو الذى لا يخفى عليه مسموع ولا معلوم فليس القصد الأخبار عن الفعل كما كان فى الأولى...»³.

وقال صاحب ملاك التأويل:

«انَّ سورة الأعراف تقدم فيها قبل الآية وصف ألهم المنحوتة من الحجارة والخشب... فورد الوصفان بقوله «سميع عليم» مورداً لم يتقدمه ما يوهم صلاحية شئ من ذلك لغيره تعالى ممّا عبده من دونه مما قصدنا ولا ذكر دعوى شئ من ذلك من مدع فيستدعى ذلك التوهم مفهوماً ينفيه فجاء على ما

¹- سورة الأعراف، آية ٢٠٠.

²- سورة فصلت، آية ٣٦.

³- درة التنزيل، ص ١٨٢.

يجب.

وأما آية فصلت فتقدم قبلها قوله تعالى «ولكن ظننتم...» وقوله تعالى «وقضينا لهم...» وقوله تعالى: «ارنا الذين اضلانا من الجن والانس» فحصل من هذا ان مضليهم انما كانوا من عالم الانس والجن، وكلا الصنفين موصوف بالسمع والبصر... فلما تقدم في سورة السجدة من يظن منه الغنى ويمكن منه ان يسمع ويبصر ويعلم، ناسبه التعريف فى الصفة ليعطى بالمفهوم نفي ذلك عن غيرالموصوف بهما تعالى»^١.

(وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّابِءِ فَيَنْبَغِي أَنْهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ)^٢.
(لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ)^٣.

الآية الأولى نزلت فى ارادة الله تعالى لانتصار المسلمين فى وقعة بدر، انتصاراً عسكرياً فى أول غزوة وكان مهماً جداً، والآية الثانية تشير الى معنى كلى وعلى هذا ليس بتكرار.

قال الرازى فى نفي تكرار الآيتين:

«ليس ههنا تكرير، لأن المراد بالأول سبب ما وعد به فى هذه الواقعة من النصر والظفر بالأعداء، والمراد بالثانى تقوية القرآن والدين ونصرة هذه الشريعة، لأن الذى وقع من المؤمنين يوم بدر بالكافرين كان سببا لعزه الدين وقوته ولهذا السبب قرنه بقوله (ويبطل الباطل) الذى هو الشرك وذلك فى مقابلة (الحق) الذى هو الدين والايمان»^٤.

(كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ...)^٥.
(كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وِلَادَةً...).

^١ - ملاك التأويل، ص ٥٧٩.

^٢ - سورة الأنفال، آية ٧.

^٣ - سورة الأنفال، آية ٨.

^٤ - تفسير الكبير، ج ١٥، ص ١٣٢.

^٥ - سورة التوبة، آية ٧.

قد تكرر لفظ «كيف» لرفع الابهام فى البيان الذى حصل لطول المطلب ومجئ الاستثناء قال الرازى فى علة هذا التكرار:

«اعلم ان قوله: «كيف» تكرر لاستبعاد المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوماً أى كيف يكون عهدهم وحالهم أنهم ان يظهروا عليكم بعد ما سبق لهم من تأكيد الايمان والمواثيق لم ينظروا الى حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم»^١.

(كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَإِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ)^٢.

(لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَإِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ)^٣.

الآية الاولى فى المشركين الذين نقضوا العهود، فإنهم من قريش كما ان النبى صلى الله عليه وآله منها ولكن لا يرقبوا ولا يرحموا النبى ومن معه من المسلمين.

والآية الثانية تدل على أنهم لا يرقبوا كل مؤمن فهم فى الحقيقة اعداء الايمان كله. قال الطبرسى فى علة تكرر الآيتين:

«الفائدة فى الاعداء، ان الأول فى صفة الناقضين للعهد والثانى فى صفة الذين اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً، وقيل انما كرر تأكيداً»^٤.

(يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّأ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)^٥.

(يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)^٦.

المراد من النور هو دين الاسلام وتعاليمه، جاء فى سورة التوبة «ان يطفئوا» وجاء فى سورة الصف

^١ - سورة التوبة، آية ٨ .

^٢ - تفسير الكبير، ج ١٥، ص ٢٣٨ .

^٣ - سورة التوبة، آية ٨ .

^٤ - سورة التوبة، آية ١٠ .

^٥ - تفسير مجمع البيان، ج ٥، ص ٢١ .

^٦ - سورة التوبة، آية ٣٢ .

^٧ - سورة الصف، آية ٨ .

«ليطفئوا» فقال الراغب في مفرداته ذيل مادة «طفئ»:

«الفرق بين الموضوعين، أن في قوله «يريدون ان يطفئوا» يقصدون اطفاء نورالله، وفي قوله «ليطفئوا» يقصدون امراً يتوصلون به أى اطفاء نورالله».

الاباء فى الآيه الأولى يفيد النهى الشديد والامتناع القوي على عدم الارادة من الله تعالى؛ هذا، والآيه الاولى انما جاءت بعد بيان انحراف اليهودية والمسيحية عن التوحيد والثانية جاءت بعد تكذيبهم رسول الله رغم ما بشرابه.

(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)¹.

(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا)².

(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)³.

نزلت الاولى بعد بيان شرك اليهود والنصارى وعقيدتهم الباطلة بأن عزير ابن الله والمسيح ابن الله، ونزلت الثانية بعد ما جاء فى الحديدية وتصديق روا النبي صلى الله عليه وآله ، ونزلت الثالثة بعد ما قال أهل الكتاب فى تكذيب الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله .

(فَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ)⁴.

(وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ)⁵.

قد قيل من سبب تكرارها، ان الآيه الاولى تتضمن معنى الشرط والفاء للجواب بخلاف الثانية، أو الاولى فى قوم والثانية فى آخرين، أو الاولى فى اليهود والثانية فى المنافقين.

¹ - سورة التوبة، آية ٣٣ .

² - سورة الفتح، آية ٢٨ .

³ - سورة الصف، آية ٩ .

⁴ - سورة التوبة، آية ٥٥ .

⁵ - سورة التوبة، آية ٨٥ .

قال صاحب مجمع البيان نقلاً عن الجبائي:

«وأنما كرر للتذكير في موطنين، مع بعد أحدهما عن الآخر، ويجوز ان يكون الآيتان في فريقين من المنافقين، فيكون كما يقول القائل لا تعجبك حال زيد ولا تعجبك حال عمرو»^١.

نعم قال فخرالرازي في تفسيره في بيان حكمة التكرير:

«ان أشد الأشياء جذبا للقلوب وجلبا للخواطر، الى الاشتغال بالدنيا، هو الاشتغال بالأموال والأولاد وما كان كذلك يجب التحذير عنه مرة بعد أخرى، الا أنه لما كان أشد الأشياء في المطلوبية والمرغوبية للرجل المؤمن هو المغفرة لله تعالى، لاجرم أعاد الله قوله «ان الله لا يغفران يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» فيسوره النساء مرتين، وبالجملة فالتكرير يكون لأجل التأكيد فهنا للمبالغة في التحذير وفي آية المغفرة للمبالغة في التفريح»^٢.

ما نقله الطبرسي جيد، فقد نزلت الآية الأولى في قوم من المنافقين لهم أموال وأولاد وأراد بالأخرى قوم آخرين والكلام الواحد اذا ذكر في أقوام مختلفة ولأسباب متعددة لم يعد تكراراً، كما ان المفسرين غالباً ذكروا شأناً لنزول الآية الثانية وملخصه: ان النبي لما مات «عبدالله بن أبي» صلى عليه ووقف على قبره ودعاه، اولفه بقميصه كفنأ له فنزلت الآية «لا تصل على أحد منهم مات أبداً...» ونهاه عن تكرار هذا العمل بيد ان العلامة الطباطبائي في تفسيره ضعه لاشتماله على التناقض والتعارض فراجع.

(يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)^٣.

(وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)^٤.

^١ - تفسير مجمع البيان، ج ٥، ص ١٠٠.

^٢ - تفسير الكبير، ج ١٦، ص ١٥٨.

^٣ - سورة التوبة، آية ٩٤.

^٤ - سورة التوبة، آية ١٠٥.

نزلت الآية الأولى في جماعة من المنافقين الذين أمر النبي صلى الله عليه وآله المؤمنين حين رجوعه من تبوك بأن لا يجالسوهم ولا يكلموهم، والثانية في المؤمنين والقاتهم بأن الله ورسوله والمؤمنين وهم الائمة عليهم السلام يعلمون ما عملوا ويرون ما فعلوا.

فشاهدنا في الآية الأولى مجئ الله «ورسوله» وفي الثانية هو «الله ورسوله والمؤمنون». وذلك لأن بعض أعمال المنافقين بما فيها من خفاء النية وان النية لا يعلم بها إلا الله أو من يأذنه تعالى صلى الله عليه وآله ، فاعمالهم قد تخفى عن المؤمنين.

قال العلامة الطباطبائي في تفسير الآيتين ووجه الفرق بينهما:

«فهذا هو الفرق بين الآيتين مع اتحادهما في ظاهر السياق حيث ذكر في الآية التي نحن فيها: الله ورسوله والمؤمنون، وفي الآية السابقة: الله ورسوله، واقتصر على ذلك. فهذا ما يعطيه التدبر في معنى الآية ومن لم يقنع بذلك ولم يرض دون أن يصور للآية معنى ظاهرياً فليقل إن ذكره تعالى «الله ورسوله» في خطاب المنافقين إنما هو لأجل أنهم إنما يريدون أن يكيدوا الله ورسوله ولاهم لهم في المؤمنين، وأما ذكره تعالى: «الله ورسوله والمؤمنين» في الخطاب العام فإنما الغرض فيه تحريضهم على العمل الصالح في مشهد من الملاءم الصالح ولم يعبا بحال غيرهم من الكفار والمنافقين. فتدبر»^١.

(... إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ)^٢.

(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ)^٣.

قد وصف إبراهيم عليه السلام في الآية الأولى بعد استغفاره لآزر بـ «أواه حلِيم» وفي الآية الثانية، بعد مجادلته في قوم لوط شفاعاً لهم بـ «أواه منيب» فهو يطلب من الله تعالى تأخير العذاب والعقاب عن قوم لوط لأنه لم يتضح له قطعية أمر العذاب عليهم.

(... تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ)^٤.

^١ - تفسير الميزان، ج ٩، ص ٣٩٤.

^٢ - سورة التوبة، آية ١١٤.

^٣ - سورة هود، آية ٧٥.

^٤ - سورة يونس، آية ١.

(... تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ)¹.

اختلف المشار اليه في هاتين الآيتين فكل تشير الى الآيات التي جاءت بعدها وتكرار الاشارة مع اختلاف المشار إليه لا يعد تكراراً.

(كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)².

(وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ)³.

نزلت الأولى في بيان علة عدم اتباع المشركين للحق فالله تعالى علم بأنهم لا يؤنون فحقت عليهم كلمة العذاب.

والثانية تختص بالكفار من امّة رسول الله صلى الله عليه وآله أى كما حقّ العذاب على الأمم السالفة فحقّ على الذين كفروا من هذه الأمة.

(... وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)⁴.

(... لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)⁵.

انّ الله تبارك وتعالى في الآية الأولى اراد بيان علم الله تعالى لكلّ شىء فما كان شىء في الأرض ولا في السماء حتّى لو كان بقدر ذرّة، الّا وهو سبحانه وتعالى يعلم به.

ونزلت الثانية في بيان انّ الله تعالى يبعث من فى القبور فهو يعلم بكلّ شىء، ويقدر على كل شىء، فاختلاط جسم الإنسان بسائر الموجودات وحلولها فى أبدان آخرين أو تفتتها فى التراب لا يمنع من حياتها مرة اخرى.

¹ - سورة لقمان، آية ٢ .

² - سورة يونس، آية ٣٣ .

³ - سورة غافر، آية ٦ .

⁴ - سورة يونس، آية ٦١ .

⁵ - سورة سباء، آية ٣ .

(وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَاءَ عِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ).^١

(وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَاءَ عِيلَ الْكِتَابِ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ * وَعَاتَيْنَهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِّن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ).^٢

مع ما فيها من الاختلاف في الألفاظ والعبارات، فكل آية نزلت في ضمن قصة بني إسرائيل لبيان زوايا مختلفة من هذه القصة.

(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ).^٣

(وَأَن تَأْتُوا الْقُرْءَانَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ).^٤

ويمكن معرفة الاختلاف في الآيتين فان في الآية الأولى، «ومن ضلَّ فأنما يضلُّ عليها» وفي الثانية «ومن ضلَّ فقل أنما انامن المنذرين» وهذا من طرائف القرآن، فالآية الثانية تقول ان النبي صلى الله عليه وآله ينذر دائماً ولا يترك المعاندين على حالهم بخلاف الاولى فأنها تقول من ضلَّ فضره عليه.

(لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخٰسِرُونَ).^٥

(لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخٰسِرُونَ).^٦

اختلاف الصيغه في «الآخسرون والخاصرون» لرعاية الفاصلة، فالآية الأولى نزلت في المنكرين الذين

^١ - سورة يونس، آية ٩٣ .

^٢ - سورة الجاثية، آيتي ١٦ و ١٧ .

^٣ - سورة يونس، آية ١٠٨ .

^٤ - سورة النمل، آية ٩٢ .

^٥ - سورة هود، آية ٢٢ .

^٦ - سورة النحل، آية ١٠٩ .

يفترون على الله كذباً، والثانية نزلت لمن كفر بالله بعد إيمانه.

(قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَعَآتِنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِي فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ)¹.

(قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَعَآتِنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ)².

نزلت الآية الأولى في نوح وقومه، والثانية في صالح وقومه وتقديم المجرور في قصة صالح للتأكيد على ان الرحمة من عند الله تعالى وهذا بعد مجادلة شديدة قد وقعت بين صالح وقومه، واسائتهم لنبئهم بهذا «قد كنت فينا مرجواً» هذا ولكن المحاجة بين نوح وقومه ليست بهذه الشدة والشناعة.

(حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ا لْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ)³.

(فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ)⁴.

نزلتا في ضمن تكرار قصة نوح عليه السلام لبيان زوايا مختلفة من القصة.

(وَأْتَبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ إِلَّا إِنْ عَادَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادِ قَوْمِ هُودٍ)⁵.

(وَأْتَبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ)⁶.

فالآية الأولى نزلت في قصة هود، والثانية في قصة موسى.

(وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثْمِينَ)⁷.

¹ - سورة هود، آية ٢٨ .

² - سورة هود، آية ٦٣ .

³ - سورة هود، آية ٤٠ .

⁴ - سورة المؤمنون، آية ٢٧ .

⁵ - سورة هود، آية ٦٠ .

⁶ - سورة هود، آية ٩٩ .

⁷ - سورة هود، آية ٦٧ .

(... وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَثَمِينَ)^١.

الآية الأولى نزلت في عذاب قوم صالح، والثانية نزلت في قوم شعيب والتأنيث في الثانية «أخذت» لكثرة استعمال التأنيث قبلها.

(وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ)^٢.

(وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَ
وَأَهْلِكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ)^٣.

نزلتا لبيان ورود الملائكة على لوط ليلاً لعقاب قومه وكل آية تكشف عن وجه من وجوه القصة.

(قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا
امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ)^٤.

(فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبِرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ)^٥.

نزلتا في ضمن قصة لوط وقومه وتكررت لذكر مالم يذكر.

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ
فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ)^٦.

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمٰنَ وَقَرُونَ فَقَالُوا سَحِرٌ كَذَّابٌ)^٧.

نزلتا في ضمن قصة موسى.

(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ

^١ - سورة هود، آية ٩٤.

^٢ - سورة هود، آية ٧٧.

^٣ - سورة العنكبوت، آية ٣٣.

^٤ - سورة هود، آية ٨١.

^٥ - سورة الحجر، آية ٦٥.

^٦ - سورة هود، آيتي ٩٦ و ٩٧.

^٧ - سورة المؤمن، آيتي ٢٣ و ٢٤.

مِنْهُ مُرِيبٌ)١.

(وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ)٢.

(... وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ)٣

نزلت هذه الآيات تسليية لقلب النبي صلى الله عليه وآله مرة بعد مرة وذلك لتكرار الإنكار والتكذيب والافتراء عليه، والتسليية بعد كل إنكار ليست بتكرار، مع أنه قيل إن آيتي هود وفصلت نزلت في قوم اليهود، يعنى أنهم فى كتابهم مريبون بعد، وأما الآية الثالثة نزلت فى أمم الأنبياء من اولوالعزم، كما صرحت بهم الآية السابقة عليها.

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)٤.

(إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)٥.

قد تكررت نحو هذين الآيتين فى عشر مواضع من القرآن لإسباب مختلفة، ويمكن ان يقال ان المشار اليه فى كل آية مختلف فالآية فى سورة يوسف اشارت الى هذه السورة و... كما أنه روى ان علماء اليهود قالوا للمشركين لم ينتقل آل يعقوب من الشام الى مصر؟ فأنزل الله تعالى سورة يوسف وعبر عن القصة بألفاظ عربية حتى يفهمها ويمكن لهم ان يعقلوها ويهدتوا بها.

(... قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ)٦.

(قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ

١- سورة هود، آية ١١٠.

٢- سورة فصلت، آية ٤٥.

٣- سورة الشورى، آية ١٤.

٤- سورة يوسف، آية ٢.

٥- سورة الزخرف، آية ٣.

٦- سورة يوسف، آية ١٨.

الْحَكِيمِ)١.

ان اخوة يوسف لما قالوا لأبيهم ان يوسف قد أكله الذئب واحتجوا على صدقهم بالقميص الملتصق بالدم، قال يعقوب رداً لقولهم «بل سولت لكم» اي زينت لكم انفسكم امراً غير ما تقولون». وثانياً أنهم لما قالوا لأبيهم بأن اخوهم بنيامين قدسرق، قال يعقوب نفس ما قال في يوسف.

(وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَّا لِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)٢.

(وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاسْتَوَى ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَّا لِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)٣.

ان الآية الأولى نزلت في قصة يوسف والثانية نزلت في قصة موسى عليه السلام.

(وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)٤.

(وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُشَاءُ)٥.

ففي الآية الأولى بعد نقل هذه الفكرة الباطلة، اكدت ان الوظيفة المهمة والاساسية للأنبياء هي الارشاد فيجب عليهم عدم الالتفات لهذه الاقتراحات غير الصحيحة بعد نزول المعجزات القوية، والآية الثانية،

تتحدث عن علة لجاجهم وهي ضلالهم.

(كَذَّا لِكَ نَسْأَلُكَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ)٦.

(كَذَّا لِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ)٧.

١- سورة يوسف، آية ٨٣.

٢- سورة يوسف، آية ٢٢.

٣- سورة القصص، آية ١٤.

٤- سورة الرعد، آية ٧.

٥- سورة الرعد، آية ٢٧.

٦- سورة الحجر، آية ١٢.

٧- سورة الشعراء، آية ٢٠٠.

استعمل لفظ المستقبل فى الآيه الاولى لما تقدمها من الأخبار عن كفار قريش لبقاء كفرهم ولفظ المستقبل يدل على الاستمرار والثبوت، وجاءت الثانية بلفظ الماضى لما تقدمها من الأخبار عن الأنبياء وانقطاع زمانهم وهلاك اقوامهم من قبل. مع ان اختلاف المشار إليه فى الآيتين يكفى فى عدم تكرارها.

(قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلْمٍ عَلَيْمِ) ١.

(فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلْمٍ حَلِيمٍ) ٢.

(... وَبَشَّرُوهُ بِغُلْمٍ عَلَيْمِ) ٣.

نزل هذه الآيات فى خلال قصة ابراهيم عليه السلام .

(... وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) ٤.

(وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) ٥.

يمكن ان نلتزم بنوع من الاختصاص فى الآيه الثانية بملاحظه ما قبلها (وَأَنْذِرِ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ). (وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرًا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) ٦.

(وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَابِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنَ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرًا لِيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) ٧.

الآيتان تشيران الى آيه من الآيات الآفاقية من البحار وما كان فيها ولا يعد من التكرار بعد ما جاء فيهما من اختلاف فى التعبير.

١- سورة الحجر، آيه ٥٣ .

٢- سورة الصافات، آيه ١٠١ .

٣- سورة الذاريات، آيه ٢٨ .

٤- سورة الحجر، آيه ٨٨ .

٥- سورة الشعراء، آيه ٢١٥ .

٦- سورة النحل، آيه ١٤ .

٧- سورة الفاطر، آيه ١٢ .

(فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ)¹.

(قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ)².

(ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ)³.

نزلت الآية الأولى فى المقتسمين وهم ستة عشر رجلاً الذين خرجوا الى عقاب مكة أيام الحج على طريق الناس على كل عقبة اربعة منهم ليصدوا الناس عن النبى فاذا سألهم الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وما اتى به، قالوا: ليس ما جاء به رسول الله بجديد، ان هو الا اساطير الأولين.

ونزلت الثانية فى بيان طائفة من الناس وهم الذين كفروا يساقون الى جهنم زمرا وطائفة أخرى هم الذين اتقوا ربهم ويساقون الى الجنة زمرا، ونزلت الثالثة فى الذين يجادلون فى آيات الله.

(فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِى يَسْتَهْزِءُونَ)⁴.

(وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِى يَسْتَهْزِءُونَ)⁵.

تتحدث الآية الأولى عن عاقبة أمر المشركين الذين ينتظرون ان تأتيهم الملائكة، والثانية تتحدث عن جزاء الكافرين المنكرين ليوم البعث الذين اذا قيل لهم ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها، قالوا: ما ندرى ما الساعة.

(وَمَا بِكُمْ مِّنْ نُّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ * ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ)⁶.

(فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ)⁷.

¹- سورة النحل، آية ٢٩ .

²- سورة الزمر، آية ٧٢ .

³- سورة غافر، آية ٧٦ .

⁴- سورة النحل، آيات ٣٤ .

⁵- سورة الجاثية، آية ٣٣ .

⁶- سورة النحل، آيات ٥٣ الى ٥٥ .

⁷- سورة العنكبوت، آيتى ٦٥ و ٦٦ .

(وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ
* لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ)¹.

هذه الآيات نزلت تهديداً للمشركين ولجميع الناس الذين يلتجئون الى الله تعالى عند الاضرار وفي كل بلاء وهم نزل عليهم.

(وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْزِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ)².

(وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا)³.

كم من فرق بين العبارتين «بظلمهم» و«بما كسبوا» مع ان ملاحظة السياق والآيات السابقة عليهما تتضح بعض مصاديق الظلم وما كسبوا.

(وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ)⁴.

(يَأْيُهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبُعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مِزْجَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِنَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا...)⁵.

الآية الثانية كانت تفسير لما «خلقكم» في الآية الأولى، فالفرق بين الآيتين هو الاجمال والتفصيل.

(... وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)⁶.

¹ - سورة الروم، آيتي ٣٣ و ٣٤ .

² - سورة النحل، آية ٦١ .

³ - سورة الفاطر، آية ٤٥ .

⁴ - سورة النحل، آية ٧٠ .

⁵ - سورة الحج، آية ٥ .

⁶ - سورة النحل، آية ٧٨ .

(وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) ١.

(قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) ٢.

فهذه الآيات بالاضافة الى اختلاف الفاظها، مختلفة السياق ايضاً.

(أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) ٣.

(أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ) ٤.

هذا لا يعد من التكرار بعد اختلاف الالفاظ الذي موجود فيهما، نحو مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ، إِلَّا اللَّهُ، فَوْقَهُمْ صَفَّتٍ وَيَقْبِضْنَ و بعد اختلاف خاتمتها.

(وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ٥.

(... وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ٦.

(... وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) ٧.

نزلت الآية الأولى لبيان ثواب الصابرين، والثانية نزلت لبيان ثواب من عمل عملاً صالحاً من ذكر أو أنثى، والثالثة نزلت جزاء للمحسنين والمتقين.

(وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ) ٨.

(وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ) ٩.

نزلت الآية فى ضمن عشر اصول من برنامج الاسلام لمواجهة المخالفين وتبين فيها الدعوة الى الحق

١- سورة المؤمنون، آية ٧٨.

٢- سورة الملك، آية ٢٣.

٣- سورة النحل، آية ٧٩.

٤- سورة الملك، آية ١٩.

٥- سورة النحل، آية ٩٦.

٦- سورة النحل، آية ٩٧.

٧- سورة الزمر، آية ٣٥.

٨- سورة النحل، آية ١٢٧.

٩- سورة النمل، آية ٧٠.

وسبيلها وكيفية العقاب والعتو وأسلوب الصمود امام مؤامراتهم وغير ذلك، ونزلت الآية الثانية بعد الحديث عن انكار المعاندين والذين يكذبون ويستهزئون بيوم الدين تسلياً لقلب النبي صلى الله عليه وآله .

(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا)¹.

(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا)².

(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا)³.

ليست بتكرار بعد ما نرى من اختلاف الناس في قبولهم للقرآن والأخذ به.

(وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرَفَّتًا آءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا)⁴.

(ذٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرَفَّتًا آءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا)⁵.

الآيتان تبحثان عن المعاد وبيان تسائل المنكرين وهل يمكن ان تجتمع هذه العظام البالية؟ ففي الآية الأولى تبين جهلهم وضلالتهم، والثانية نزلت لبيان عقابهم.

(سُنَّةً مِّن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا)⁶.

(مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا)⁷.

(سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا)⁸.

(سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا)⁹.

¹- سورة الاسراء، آية ٤١ .

²- سورة الاسراء، آية ٨٩ .

³- سورة الكهف، آية ٥٤ .

⁴- سورة الاسراء، آية ٤٩ .

⁵- سورة الاسراء، آية ٩٨ .

⁶- سورة الأسرء، آية ٧٧ .

⁷- سورة الأحزاب، آية ٣٨ .

⁸- سورة الأحزاب، آية ٦٢ .

⁹- سورة الفتح، آية ٢٣ .

قيل فى سبب نزول الآيه الأولى، أنها نزلت فى أهل مكّة بعد ان قرروا اخراج النبى صلى الله عليه وآله ثم بدلوا رأيهم وارادوا قتله فى الليله المشهوره بـ«ليله المبيت» ولكن الله أخبره وامره بالهجرة، ونزلت الثانية فى زواج النبى صلى الله عليه وآله بزینب بنت جحش التى كانت زوجة زيد بن حارثه، ونزلت الثالثة فى جماعه من المنافقين كانوا فى المدينه فاذا خرج النبى فى بعض غزواته اخذوا يطلقون الشائعات ويقولون قتل النبى او اسر فيعتم المسلمون لذلك ويشكون فى رسول الله، والآيه الرابعه نزلت بعد آيات تتحدث عن الحديبيه، فقال الله تعالى (وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا أَثَدْبَرَ ثُمَّ لَأَ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) ^١ ثم قال هذا من «سنه الله التى خلت من قبل و...».

(وَإِذِ آتَيْنَا عَلَى الْأَنْسَنِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِنَجَابِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا) ^٢.

(وَإِذِ آتَيْنَا عَلَى الْأَنْسَنِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِنَجَابِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ) ^٣.

هذه الآيات تشير الى مرض نفسانى فى الانسان فهو اذا اغدق عليه بنعمه اعرض ونأى بجانبه واذا أبتلى ببلاء يئس من رحمه الله كما فى الآيه الأولى أو يظهر عجزه كما فى الآيه الثانية.

(وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا) ^٤.

(وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ آيَاتُهُمْ أَوْ يَأْتِيَهُمْ الْعَذَابُ قُبُلًا) ^٥.

الآيه الأولى تشير الى تذرع المشركين وأعراضهم عن قبول دعوة الحق بأنه بشر مثلهم، وفى الآيه الثانية قد بين ان انكارهم يبقى الى ان يصيبهم العذاب كما نزل على الامم السابقه.

^١ - سورة الفتح، آيه ٢٢ .

^٢ - سورة الاسراء، آيه ٨٣ .

^٣ - سورة فصلت، آيه ٥١ .

^٤ - سورة الاسراء، آيه ٩٤ .

^٥ - سورة الكهف، آيه ٥٥ .

(أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا
لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا)¹.

(أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ)².
(أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزُبْ عَنْهُ بَخْلُقِهنَّ بِقَدْرِ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى
بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)³.

الآية الأولى نزلت بعد استبعاد المعاندين من تحقق المعاد الجسماني بأنه أمر غير ممكن، فاستدل
القرآن ببرهان واضح على إمكانه ووقوعه.

والآية الثانية نزلت في ضمن البراهين التي اقيمت على المعاد من كيفية خلق آدم، والآية الثالثة وهي
من آخر آيات سورة الأحقاف تبحث عن المعاد لأنه قد جاء في الآيات التي كانت قبلها الحديث
من المعاد على قول مبلغ من الاجنّة، أو لأنه قد جاءت هذه السورة لبيان التوحيد وتختم بالمعاد وهو
ختام حسن مع ما فيهما من الاختلاف في التعبير.

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ
يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا)⁴.

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ)⁵.

نزلت الآية الأولى في مجموعة من الكفار المتعصبين الذين يجادلون بالباطل ويدحضون الحق
ويتخذون آيات الله هزواً، وجاءت في الثانية أن الله تعالى بعد أن يستخدم كل وسائل التوعيد لنجاة
المجرمين الذين يكذبون بيوم الدين من ارسال الأنبياء وانزال الكتب و... ينتقم منهم والله عزيز
ذوانتقام.

¹ - سورة الاسراء، آية ٩٩ .

² - سورة يس، آية ٨١ .

³ - سورة الأحقاف، آية ٣٣ .

⁴ - سورة الكهف، آية ٥٧ .

⁵ - سورة السجده، آية ٢٢ .

قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا^١.

قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا^٢.

قال صاحب مجمع البيان فى سبب تكرار الآيتين:

«اعادة هذا القول لتأكيد الأمر عليه والتحقيق لما قاله أولاً مع النهى عن العود بمثل سؤله»^٣.

ولكن أقول، ليس هذا بتكرار قط لأن كل كلام كان فى جواب شئ وعند حدوث واقعة.

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا

صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا^٤.

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ

لِلْمُشْرِكِينَ^٥.

ان المدار الاساسى فى آية الكهف هو نسف الغلو والمبالغة التى يصورها المشركون للأنبياء

عليهم السلام ، ثم اهدى طريقاً لمن كان يرجوا لقاء ربه، واما المحور الأساسى فى آية فصلت هو نفى

الشرك وذلك بملاحظة كلمات الآيات وسياقها.

(وَسَلِّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا)^٦.

(وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا)^٧.

الآية الأولى فى يحيى والثانية فى عيسى عليهما السلام فالسلام فى الآية الأولى من الله تعالى واما

فى الثانية عيسى عليه السلام يسلم على نفسه.

فقد جاء فى تفسير الميزان:

^١ - سورة الكهف، آية ٧٢ .

^٢ - سورة الكهف، آية ٧٥ .

^٣ - تفسير مجمع البيان، ج ٦، ص ٣٧٠ .

^٤ - سورة الكهف، آيتى ١٠٩ و ١١٠ .

^٥ - سورة فصلت، آية ٦ .

^٦ - سورة مريم، آية ١٥ .

^٧ - سورة مريم، آية ٣٣ .

«نعم بين التسليمتين فرق، فالسلام فى قضية يحيى نكرة يدل على النوع، وفى هذه القصة (عيسى بن مريم عليهما السلام) محلى بلام الجنس يفيد بإطلاق الاستغراق»^١.

(وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ)^٢.

(إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ)^٣.

نزلت هذه الآيات فى خلال قصة عيسى عليه السلام وهو أمان نقل كلامه على لسانه أو بيان وحكاية عن قوله، ثم بين فى كلا السورتين اختلاف النصارى بعد نبئهم.

(إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُتُوا إِنِّى ءَأَنْتُمْ نَارًا لَعَلِّى ءَأْتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى)^٤.

(إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّى ءَأَنْتُمْ نَارًا سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَأْتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ)^٥.

فالآيتان وان كانتا فى صدد بيان شىء واحد من قصة موسى عليه السلام لكنهما جائتا فى ضمن قصته.

(الَّذِى جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى)^٦.

(الَّذِى جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)^٧.

قد تكررت الآية لمناسبتها بالسياق مع الآيات وان الآية الأولى اعم بالنسبة الى الثانية. فى الاولى

اخبر الله تعالى عن نفسه و قال فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى اى اخرجنا بذلك الماء اصنافا

^١ - تفسير الميزان، ج ١٤، ص ٤٧.

^٢ - سورة مريم، آيتى ٣٦ و ٣٧.

^٣ - سورة الزخرف، آيتى ٦٤ و ٦٥.

^٤ - سورة طه، آية ١٠.

^٥ - سورة النمل، آية ٧.

^٦ - سورة طه، آية ٥٣.

^٧ - سورة الزخرف، آية ١٠.

مختلفة الألوان و الطعوم و المنافع و كل لون منها زوج.

(أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى)¹.

(أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ)².

قد تكررت الآية الثانية في خلال عددٍ بعض الآيات الالهية مع ان كليهما جاءتا بعد نزول آيات في إعراض بعض الناس عن آيات الله تعالى. قال طبرسي في تفسير الثانية: نبه سبحانه خلقه على الاعتبار بمن تقدمهم من القرون و قال في تفسير آية الاولى: افلم يبين لهم اي لكفار مكة طريق الاعتبار كثرة اهلاكنا القرون قبلهم بتكذيبهم رسلنا.³

(فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ الْيَلِّ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى)⁴.

(فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ * وَمِنَ الْيَلِّ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ)⁵.

امر الله الرسول صلى الله عليه وآله بالصبر على ما يقوله المعاندون وما يفترون عليه افتراءات مختلفة في مدة نيف وعشرين سنة. هذا، مع ان فيهما من العبارات المختلفة التي تعطي معاني جديدة.

(مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ)⁶.

(وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ الرَّحْمَنِ مُّحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُّعْرِضِينَ)⁷.

¹- سورة طه، آية ١٢٨ .

²- سورة السجدة، آية ٢٦ .

³- ارجع الى تفسير مجمع البيان، ج ٨، ص ١١٣ و ج ٧، ص ٦٥ .

⁴- سورة طه، آية ١٣٠ .

⁵- سورة ق، آيتي ٣٩ و ٤٠ .

⁶- سورة الانبياء، آية ٢ .

⁷- سورة الشعراء، آية ٥ .

ان الآيه الأولى وصف لعامة الناس بما هم غافلون، والثانية وصف لهم بما هم كافرون و مشركون، مضافا الى الفرق بين اللعب والاعراض.

(وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ)¹.

(وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا)²

السبب الأساسي للاستهزاء بالنبي صلى الله عليه وآله في الآية الأولى ذكر آلهة المشركين بخلاف الآية الثانية.

(وَأَرَادُوا بِهِيَ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ)³.

(فَأَرَادُوا بِهِيَ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ لَأَسْفَلِينَ)⁴.

ان الآيتين نزلتا في خلال قصة إبراهيم مع ان الفرق بين الأخر الذي يستعمل كثيراً ما في المقترضات الخارجية كالمال والجاه، والأسفل وهو ضد الأعلى أو أسفل طبقه من النار، يكفيننا بان نقول كل آية تتكلم عن شئ لم يذكر في الاخرى.

(إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ * وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهِنَا رَا جِعُونَ)⁵.

(وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ * فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ)⁶.

تتكلم كل آية عن اتحاد منهج الأنبياء واختلاف امهم وفي الثانية اشارت الى سبب من أسباب الاختلاف وهو فرح كل حزب بما لديهم.

¹- سورة الأنبياء، آية ٣٦ .

²- سورة الفرقان، آية ٤١ .

³- سورة الأنبياء، آية ٧٠ .

⁴- سورة الصافات، آية ٩٨ .

⁵- سورة الأنبياء، آيتي ٩٢ و ٩٣ .

⁶- سورة المؤمنون، آيتي ٥٢ و ٥٣ .

(يَأْيُهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبُعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ^١)
(وهو الذي يحيى ويميت وله اختلف الليل والنهار أفلا تعقلون)^٢.

الحديث في الآيتين عن المراحل المختلفة لخلق الانسان وما في سورة الحج كان اعم بالنسبة الى ما في سورة المؤمن مع ان الآية الأولى نزلت بياناً لإثبات المعاد، حيث بين الله تعالى حياة الأرض بعد موتها ثم قال: «ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير».

(إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ)^٣.

(إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ)^٤.

الآية الثانية اعم بالنسبة الى الأولى ونزلت في واقعة بدر عندما نزل الى ساحه الحرب «على عليه السلام» و«حمزة» و«عبيدة بن الحارث» فقتلوا «الوليد بن عتبة» و«عتبة بن ربيعة» و«شيبه بن ربيعة».

(كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ)^٥.
(وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِلُهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ

^١ - سورة الحج، آية ٥.

^٢ - سورة المؤمن، آية ٨٠.

^٣ - سورة الحج، آية ١٤.

^٤ - سورة الحج، آية ٢٣.

^٥ - سورة الحج، آية ٢٢.

النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِي تَكْذِبُونَ)¹.

نزلت الآية الأولى في الوليد بن عتبة وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ونزلت الثانية في «الوليد بن عتبة» وذلك لأنه قال لعلي عليه السلام «انا ابسط منك لسانا واحداً منك سنانا» فقال علي عليه السلام : ليس كما تقول يا فاسق².

ذَا لِكَ بَانَ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ)³.

ذَا لِكَ بَانَ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ)⁴.

روى ان المشركين بعضهم واجهوا المسلمين قبل انتهاء شهر المحرم، فقال بعضهم ان المسلمين لا يحاربون في هذا الشهر، فبدأوا بمحاجة المسلمين وعندما لم يفد ردعهم عن القتال، قتلوهم بنصرة من الله تعالى فنزلت «ذلك ومن عاقب بمثل...» وعلله ب«ذلك بان الله هو الحق...»، واما الآية الثانية، فهي نتيجة لعدة من الآيات الالهية من خلقه السموات والأرض وملكه وسعة كلماته و... .

لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)⁵.

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)⁶.

في الآية الثانية أكد سبحانه وتعالى ما أجاب الكافرون عند ما سئلوا من خلق السموات والأرض؟ (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله...)⁷، فأكد قولهم بان له جميع ما في السموات والأرض فضلاً عن خلقه، فيتصرف فيه كما يريد، فلا يضره اعتراض المعترضين ولا ينفعه حمد الحامدين لأنه هو الغني الحميد.

(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ

¹- سورة السجدة، آية ٢٠ .

²- ارجع الى تفسير مجمع البيان، ج ٨، ص ١٠٩ .

³- سورة الحج، آية ٦٢ .

⁴- سورة لقمان، آية ٣٠ .

⁵- سورة الحج، آية ٦٤ .

⁶- سورة لقمان، آية ٢٦ .

⁷- سورة لقمان، آية ٢٥ .

هُمُ لِلزَّكْوَةِ فَعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^١.

(إِنَّ الْأَعْيُنَ لَا تَحِيطُ بِشَيْءٍ وَلَا يَشْعُرُ بِهِ إِلَّا الْأَلْبَابُ * وَإِذَا مَسَّ الشَّرُّ أَزْوَاجًا * وَإِذَا مَسَّ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْأُمُصَلِينَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَابَّ مُؤْمِنًا * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِبِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَابِ مُؤْمِنًا * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ)^٢.

قد وصف المؤمنون في سورة المؤمنون ووصف المصلون في سورة المعارج مع ما في هذين الموصوفين وبعض اوصافهم من الاختلاف.

(... لَكُمْ فِيهَا فَوْجٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ)^٣.

(لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ)^٤.

نزلت الآية الأولى في جنات الدنيا فانشاهاالله تعالى بسبب نزول الماء من السماء بقدر، والثانية في الجنة.

(فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُونَ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلْبَعًا مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ءَابَابِنَا الْوَالِيْنَ)^٥.

^١ - سورة المؤمنون، آيات ١ الى ١١ .

^٢ - سورة المعارج، آيات ١٩ الى ٣٥ .

^٣ - سورة المؤمنون، آية ١٩ .

^٤ - سورة الزخرف، آية ٧٣ .

^٥ - سورة المؤمنون، آية ٢٤ .

(وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاعِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ)¹.

نزلت الأولى فى محاجة قوم نوح مع نبيهم عليه السلام والثانية فى جماعة آخرين من بعد نوح وقيل هم قوم هود وقيل هم قوم ثمود.

(بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ * قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَعِآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ)².

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَعِآبَاؤُنَا أَبءِنَّا لَمُخْرَجُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَعِآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ)³.

قد تكرر فى القرآن ذكر استبعاد الكفار من حياتهم الثانوية وبما ان استبعادهم هذا من الحيل التى لا يلتزمون بها عقلاً ولا تخرجهم من عذاب وجدانهم قطعاً، فالله تعالى، جاء بها فى مواضع مختلفة فى القرآن وقد حكى اقرارهم بالمبدأ «ولئن سألتهم... ليقولن الله» حتى جعلهم فيما يفرون منه.

(قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ)⁴.

(وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ)⁵.

الآية الأولى هى جواب السحرة فى عهد موسى عليه السلام، الذين غمر قلوبهم الايمان بالله تعالى فهم لم يهابوا من تهديد فرعون وقالوا «لا ضير لنا انا...» والآية الثانية تدل على مطلق الرجوع الى الله تعالى.

¹ - سورة المؤمنون، آية ٣٣ .

² - سورة المؤمنون، آيات ٨١ الى ٨٣ .

³ - سورة النمل، آيتى ٦٧ و ٦٨ .

⁴ - سورة الشعراء، آية ٥٠ .

⁵ - سورة الزخرف، آية ١٤ .

(مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ) ١.

(وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكٰذِبِيْنَ) ٢.

نزلت الأولى فى قصة صالح والثانية فى شعيب.

(الَّذِيْنَ يَتَّقِيْهِمُ الصّٰلُوْا ؕ وَيُؤْتُوْنَ الزّٰكٰوٰةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُوْنَ) ٣.

(الَّذِيْنَ يَتَّقِيْهِمُ الصّٰلُوْا ؕ وَيُؤْتُوْنَ الزّٰكٰوٰةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُوْنَ) ٤.

نزلت الأولى وصفاً للمؤمنين والثانية صفةً للمحسنين.

(وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُوْنَ) ٥.

(وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِيْنَ) ٦.

قد تكررت فى قصة موسى لبيان زوايا مختلفة من هذه القصة مع ما فيهما من الاختلاف فى المضمون.

(وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَمَنْ فِي الْاَرْضِ اِلَّا مَنْ شَاءَ اللّٰهُ وَكُلُّ اٰتُوْهُ دَاخِرِيْنَ) ٧.

(وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَمَنْ فِي الْاَرْضِ اِلَّا مَنْ شَاءَ اللّٰهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيْهِ اٰخَرَى فَاِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُوْنَ) ٨.

١- سورة الشعراء، آية ١٥٤ .

٢- سورة الشعراء، آية ١٨٦ .

٣- سورة النمل، آية ٣ .

٤- سورة لقمان آية ٤ .

٥- سورة النمل، آية ١٠ .

٦- سورة القصص، آية ٣١ .

٧- سورة النمل، آية ٨٧ .

٨- سورة الزمر، آية ٦٨ .

ذكرت الآية الثانية نفختين، نفخة الاماتة ونفخة الأحياء بخلاف الآية الأولى فهي تتكلم عن النفخة الثانية فقط.

(وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ)¹.

(وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ)².

نزلت الأولى في مؤن آل فرعون وهو «حزقيل» والثانية في مؤن انطاكية وهو «حبيب النجار».

(وَمَا أوتيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفْلاً تَعْلَمُونَ)³.

(فَمَا أوتيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)⁴.

الآية الأولى هي جواب ثالث عن المشركين في مكة الذين قالوا: ان نون بالله واليوم الآخر يهجم العرب علينا هجوماً ويهلكونا هلاكاً ويخطفونا من ارضنا فتركنا الدين لثلاث تفوتنا الدنيا، فبين ان ما عندالله خير وابقى، والآية الثانية، في بيان تصغير الدنيا ليقبل الناس ادلة التوحيد التي نزلت قبلها.

(... اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ...)⁵.

(اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ)⁶.

نزلت الآية الاولى حكاية عن ندامة المشاهدين لقارون «فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا ياليت لنا مثل ما اوتى قارون انه لذو حظ عظيم» فلما نزل البلاء عليه وخسف الله به وبداره الأرض، يقولون هوأ الذين تمنوا ان يكونوا مكان قارون: «ويكأن» والثانية

¹- سورة القصص، آية ٢٠ .

²- سورة يس، آية ٢٠ .

³- سورة القصص، آية ٦٠ .

⁴- سورة الشورى، آية ٣٦ .

⁵- سورة القصص، آية ٨٢ .

⁶- سورة العنكبوت، آية ٦٢ .

نزلت بلا سبب.

(وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)¹.

(وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)².

نزلت الأولى في بيان عجز الناس من دفع العذاب يوم القيامة، ونزلت الآية الثانية في بيان عجز الناس من دفع البلاء الدنيوي مع ان ذكر «السماء» في الأولى دون الثانية وما فيها من اللطائف، يكفي في ان نقول: لا يوجد هنا تكرار قط.

(وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ)³.

(وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)⁴.

(وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ...⁵).

(وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ)⁶.

ما نقوله ذيل آيات ٨١ الى ٨٣ من سورة المونون يفيدنا هنا، مع ان الاختلاف في الجواب ان لم يكن على وجه الحكاية، دليل تام على تعدد هذه الاسئلة من الكفار والمشركين.

(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)⁷.

(أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)⁸.

نزلت الآية الأولى بعد الحديث عن الفرح واليأس العارض على الانسان عند نزول نعمة أو حدود بلاء، فقال الله تعالى ان النعمة كلها بيده تعالى وهو يبسطها ويقدرها وليس هذا ببعيد عن الانسان بل

¹ - سورة العنكبوت، آية ٢٢ .

² - سورة الشورى، آية ٣١ .

³ - سورة العنكبوت، آية ٦١ .

⁴ - سورة لقمان، آية ٢٥ .

⁵ - سورة الزمر، آية ٣٨ .

⁶ - سورة الزخرف، آية ٩ .

⁷ - سورة الروم، آية ٣٧ .

⁸ - سورة الزمر، آية ٥٢ .

هو يراه بعينه.

ونزلت الثانية بعد التكلم عن دعاء الانسان واستغاثته عند زوال النعمة واعراضه عنه عند نزولها، فقال الله تعالى إنه يعلم ويعتقد بان الله هو يقدر ويبسط الرزق.

مضافاً الى الاختلاف فى السياق بين الآيتين الذى منه يعرف عند الدقة فى لفظى «يروا» و «يعلموا» الفرق بينهما.

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)¹.

(اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)².

اشارت الآية الأولى الى السبب المادى لحركة الفلك بخلاف الآية الثانية.

(وَإِذَا تَتَلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)³.

(يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تَتَلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)⁴.

نزلت الآية الاولى فى «النضر بن حارث» الذى كان تاجراً يسافر الى فارس فاشتري كتاب «كليلة و دمنه» وتعلم قصة رستم واسفنديار والا كاسرة فيأتى بها الى قريش ويقول ان محمداً صلى الله عليه وآله يحدث بحديث عاد و ثمود وانا احدثكم بحديث «رستم واسفنديار» أو نزلت فى رجل اشترى جارية مغنية وكانت هى تغنيه ليله ونهاره فتشغله عن ذكر الله.

(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ)⁵.

(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا)

¹ - سورة الروم، آية ٤٦ .

² - سورة الجاثية، آية ١٢ .

³ - سورة لقمان، آية ٧ .

⁴ - سورة الجاثية، آية ٨ .

⁵ - سورة لقمان، آية ١٤ .

حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَا
لِدَىٰ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ^١.

ان الآية الثانية كانت مفسرة للآية الأولى مع ما فيها من المعارف الجديدة.

(قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)^٢.

(قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ
الرَّاٰزِقِينَ)^٣.

الآية الأولى نزلت في الكفار ولم تذكر فيها لفظه «عباده»، والثانية نزلت في المؤمنين وذكر الله تعالى
فيها «من عباده» وقال: «لمن يشاء من عباده».

قال الطبرسي في تفسيره:

«أما كرهه سبحانه لاختلاف الفائدة، فالاول توبيخ للكافرين وهم المخاطبون به والثاني وعظ للمؤمنين
فكانه قال: ليس اغناء الكفار واعطائهم بدلالة على كرامتهم وسعادتهم بل يزيدهم ذلك عقوبة، واغناء
المؤمنين يجوز ان يكون زيادة في سعادتهم بان ينفقوها في سبيل الله ويدل عليه قوله «ما انفقتم من
شيء فهو يخلفه» أي: وما أخرجتم من أموالكم في وجوه البر، فإنه سبحانه يعطيكم خلفه وعوضه، أما
في الدنيا بزيادة النعمة وأما في الآخرة بثواب الجنة»^٤.

(إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَآ حِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِدُونَ)^٥.

(إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَآ حِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ)^٦.

نزلت الآية الأولى في بيان لنفخة الأولى التي بها يموت الخلق كلهم وقيل عندما قتلوا الكفار «حبيب

^١ - سورة الاحقاف، آية ١٥ .

^٢ - سورة سباء، آية ٣٦ .

^٣ - سورة سباء، آية ٣٩ .

^٤ - تفسير مجمع البيان، ج ٨، ص ٢٢٢ .

^٥ - سورة يس، آية ٢٩ .

^٦ - سورة يس، آية ٥٣ .

النجار» غضب الله عليهم فصاح جبرائيل بهم صحيحةً فماتوا عن آخرهم فلا يسمع لهم حس كالنار اذا طفئت.

ونزلت الثانية في النفخة الثانية في يوم القيامة التي يحيى الله تعالى الخلق من الجن والأنس اجمعين.
(أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ)¹.

(يَقُولُ أَءَتَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ * أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ)².

نزلت الآية الأولى حكاية عن قول المنكرين المكذبين بيوم الدين، ففي هذه الآية حكى الله تعالى تسائلهم، ونزلت الثانية في محادثة أهل الجنة حكى فيها عما وقع بين مؤن وقرين له في الكفار في الجنة.

(وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ)³.

(فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ)⁴.

(فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ)⁵.

قال صاحب الميزان في تفسير الآية الأولى:

«تخاصم واقع بين الاتباع يوم القيمة.... فالبعض الأول هم المعترضون والبعض الثاني المعترض عليهم».

وقال الرازي في تفسيره:

«قيل هم الكفار والشياطين، وقيل الرواء والاتباع، أى يسأل بعضهم بعضاً وهذا التسائل عبارة عن التخاصم وهو سؤل التبكيت، يقولون: غررتمونا، ويقول اولئك لم قبلتم منا، وبالجملة فليس ذلك

¹- سورة الصافات، آية ١٦ .

²- سورة الصافات، آيتي ٥٢ و ٥٣ .

³- سورة الصافات، آية ٢٧ .

⁴- سورة الصافات، آية ٥٠ .

⁵- سورة القلم، آية ٣٠ .

⁶- تفسير الميزان، ج ١٧، ص ١٣٤ .

التسائل المستفهمين، بل هو تساؤ التوبيخ واللوم والله أعلم»^١.

وقال صاحب الميزان فى تفسير الآيه الثانية:

«حكاية محادثة تقع بين أهل الجنة، فيسأل بعضهم عن أحوال بعض ويحدث بعضهم بما جرى عليه فى الدنيا وتنتهى المحادثة الى تكليمهم بعض أهل النار وهو فى سواء الجحيم... فضمير الجمع لأهل الجنة من عباد الله المخلصين وتسائلهم سواء بعضهم عن بعض مما جرى عليه»^٢.

وقال الرازى:

«ولما تمم الله صفات أهل الجنة قال «فأقبل...» والمعنى: فقبل بعضهم على بعض (من أهل الجنة) يتسائلون عما جرى لهم وعليهم فى الدنيا»^٣.

وأما الآيه الثالثة فهى نزلت فى أصحاب الجنة لما رأوا ما قد حلّ بهم، أقبل بعضهم على بعض يلومون أنفسهم فيما عزموا عليه.

(إِنَّا كَذًا لِكِ نَفَعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ)^٤.

(كَذًا لِكِ نَفَعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ)^٥.

نزلت الأولى فى عذاب المجرمين فهم معذبون مثل الذين قالوا: «ما كان عليكم من سلطان»، ونزلت الثانية فى هلاك المجرمين فى الدنيا كالامم السابقة مثل قتلهم يوم بدر و... .

(إِنَّا كَذًا لِكِ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)^٦.

^١ - تفسير الكبير، ج ٢٥، ص ١٣٤ .

^٢ - تفسير الميزان، ج ١٧، ص ١٣٩ .

^٣ - تفسير الكبير، ج ٢٦، ص ١٣٩ .

^٤ - سورة الصافات، آيه ٣٤ .

^٥ - سورة المرسلات، آيه ١٨ .

^٦ - سورة الصافات، آيه ٨٠ .

(كَذَّا لِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)¹.

(إِنَّا كَذَّا لِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)².

(إِنَّا كَذَّا لِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)³.

نزلت الاولى فى جزاء نوح، والثانية فى جزاء إبراهيم، والثالثة فى موسى وهارون، والرابعة فى الياسين عليهم السلام .

(وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ)⁴.

(وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ)⁵.

نزلت الأولى فى الدنيا أى ابصر أحوالهم فى الدنيا، والثانية فى الآخرة.

قال الطبرسى فى تفسيره:

«أنما كرر ماسبق للتأكيد، وقيل لأن المراد باحداهما عذاب الدنيا، وبالآخر عذاب الآخرة أى فكن

على بصيرة من أمرك فسوف يكونون على بصيرة من أمرهم حين لا ينفعهم»⁶.

وقال الطباطبائى فى تفسير الآية الثانية:

«تأكيد بما مرّ بتكرار الآيتين على ما قيل، واحتمل بعضهم ان يكون المراد بما تقدّم التهديد بعذاب

الدنيا، وبهذا التهديد بعذاب الآخرة، ولا يخلو من وجه، فان الواقع فى الآية «وابصر» من غير مفعول

كما فى الآية السابقة من قوله «وابصرهم» والحذف يشعر بالعموم وان المراد أبصار ما عليه عامة

الناس من الكفر والفسوق ويناسبه التهديد بعذاب يوم القيمة»⁷.

¹- سورة الصافات، آية ١١٠ .

²- سورة الصافات، آية ١٢١ .

³- سورة الصافات، آية ١٣١ .

⁴- سورة الصافات، آية ١٧٥ .

⁵- سورة الصافات، آية ١٧٩ .

⁶- تفسير مجمع البيان، ج ٨، ص ٣٣٩ .

⁷- تفسير الميزان، ج ١٧، ص ١٧٩ .

(وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذٰبٌ)١.

(بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ)٢.

نزلت الآية الاولى فى اشراف قريش وهم خمسة وعشرون رجلاً جاؤ لأبى طالب وقالوا: أنت شيخنا وكبيرنا وآتيناك لتقضى بيننا وبين ابن اخيك، أنه قد سفه احلامنا وسب آلتهنا وافسد شبابنا وفرق جماعتنا.

فدعا أبو طالب ابن أخيه صلى الله عليه وآله وقال: يا ابن أخى هوأ قومك يسألونك، قال صلى الله عليه وآله : ماذا يسألوننى؟ قال: دعنا وآلهتنا ندعك والهك، فقال صلى الله عليه وآله : اتعطونى كلمة واحدة تملكون بها العرب والعجم، فقال أبو جهل: لله أبوك نعطيك ذلك عشر أمثالها، فقال صلى الله عليه وآله : قولوا لا اله الا الله تفلحوا، فقاموا وقالوا: انجعل الآلهة الهاً واحداً. وروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله : قال: والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ما تركته، ولكن يعطونى كلمة يملكون بها العرب ويدين لهم بها العجم ويكونون ملوكاً فى الجنة٣.

ونزلت الثانية فى بيان القرآن جانباً من اشكالات الكفار والمشركين.

(أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوْقُوا عَذَابِ)٤.

(أَلْقَى الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذٰبٌ أَشِرٌ)٥.

نزلت الآية الاولى فى الكفار الذين ينكرون ويكذبون النبوة، ونزلت الثانية فى قوم ثمود، فقد قال المكذبين من كفار مكة نفس ما قاله الكفار من الأمم السالفة.

(كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ * وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَٰئِكَ

١- سورة ص، آية ٤ .

٢- سورة ق، آية ٢ .

٣- ارجع الى تفسير الميزان، ج ١٧، ص ١٨٧ .

٤- سورة ص، آية ٨ .

٥- سورة قمر، آية ٢٥ .

الْأَخْزَابِ)¹.

(كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ * وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ
وَقَوْمُ تَبَعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ)².

قد جاء في سورة «ق» قومان لم يذكر في سورة «ص» وهي قوم «تبع» و «الأيكة».

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ
يَهْبِجُ فَتَرَكَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْمًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ)³.

(كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَكَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطْمًا...)⁴.

نزلت الآية الأولى دليلاً للمعاد وتتميماً للأبحاث التي مضت في الآيات السابقة عليها، وفي الآية
الثانية ذكرت ان الانسان يمر بمراحل خمس في الدنيا كالزراع.

(وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ)⁵.

(وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ)⁶.

نزلت الأولى في ضمن حكم ثالث من أحكام ثلاثة يحكم الله تعالى بها يوم القيمة على المشركين
الظالمين من تحقق العذاب عليهم ولو يفتدى بما في الأرض لو كان لهم، ومن ظهور ظنونهم الباطلة
وفي هذه الآية نزلت تجسد أعمالهم السيئة، ونزلت الثانية في بيان عذاب الكافرين المستكبرين على
آيات الله ودعوة الأنبياء، فجزاء هوأ تجسيد ذنوبهم امام اعينهم.

(ذَا لِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدٌ الْعِقَابِ)⁷.

(ذَا لِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ

¹- سورة ص، آيتي ١٢ و ١٣ .

²- سورة ق، آيات ١٢ الى ١٤ .

³- سورة الزمر، آية ٢١ .

⁴- سورة الحديد، آية ٢٠ .

⁵- سورة الزمر، آية ٤٨ .

⁶- سورة الجاثية، آية ٣٣ .

⁷- سورة غافر، آية ٢٢ .

غَنِيٌّ حَمِيدٌ^١ .

بعد ماترى من اختلاف المشار إليه فى الآيتين وما جاء فى العذاب لا يمكن القول بالتكرار فى القسمين المتماثلين من الآيتين.

(بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ)^٢.

(وَكَذَٰلِكَ لِكَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ)^٣.

تبين الآية الأولى عقيدة العرب فى العصر الجاهلى فهم يشركون بالله ويظنون ان الملائكة بنات لله تعالى ويستندون فى عقيدتهم الخرافية الى عقيدة آبائهم.

ونزلت الآية الثانية تسلياً لقلب النبى بأن هذا الظن الخرافى ليس بشى جديد بل هو استدلال كل المشركين فى الأمم الماضية.

(... وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)^٤.

(وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)^٥.

قال صاحب مجمع البيان فى وجه تكرارها:

«أنما كرر لأن الأول متصل بذكر المؤمنين أى فله الجنود التى يقدر ان يعينكم بها، والثانى متصل بذكر

الكافرين أى فله الجنود التى يقدر على الانتقام منهم بها»^٦

قال فخر الرازى بهذا الصدد:

«ما الفائدة فى الأعاده؟ نقول لله جنود الرحمة وجنود العذاب أو جنود الله انزالهم قد يكون للرحمة

^١ - سورة التغابن، آية ٦ .

^٢ - سورة الزخرف، آية ٢٢ .

^٣ - سورة الزخرف، آية ٢٣ .

^٤ - سورة الفتح، آية ٤ .

^٥ - سورة الفتح، آية ٧ .

^٦ - تفسير مجمع البيان، ج ٩، ص ١٨٨ .

وقد يكون للعذاب، فذكرهم الأولى لبيان الرحمة بالمؤمنين، قال تعالى «وكان بالمؤمنين رحيماً» وثانياً لبيان انزال العذاب على الكافرين»^١.

(وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّابِغِ وَالْمَحْرُومِ)^٢.

(وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّابِغِ وَالْمَحْرُومِ)^٣.

نزلت الأولى وصفاً للمتقين والثانية وصفاً للمصلين.

(فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ)^٤.

(وَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ)^٥.

كل آية من هذه الآيات نزلت عقيب آية وبعد كل نعمة فلا يعد تكراراً.

(وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ)^٦.

(يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ)^٧.

(وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا)^٨.

كل آية مع ما فيها من تعابير مختلفة، تعطي معاني جديدة، نزلت في خلال آيات أوصاف الجنة المختلفة.

(أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ)^٩.

(أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ)^{١٠}.

^١ - تفسير الكبير، ج ٢٨، ص ٨٥.

^٢ - سورة الذاريات، آية ١٩.

^٣ - سورة المعارج، آيتي ٢٤ و ٢٥.

^٤ - سورة الطور، آية ١١.

^٥ - سورة المرسلات، آيات ١٥، ١٩، ٢٤، ٢٨، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤٥، ٤٧، ٤٩؛ سورة المطففين، آية ١٠.

^٦ - سورة الطور، آية ٢٤.

^٧ - سورة الواقعة، آية ١٧.

^٨ - سورة الانسان، آية ١٩.

^٩ - سورة الطور، آية ٤١.

^{١٠} - سورة القلم، آية ٤٧.

نزلت الآيتين في خلال سلسلة من الاستدلالات المتفاوتة المتتابعة على وجه الاستفهام الإنكارى ردّاً للمشركين والمكذّبين بيوم الدين، ونزلت الأولى جواباً عما قال رجل من «بنى عبدالدار» في دار الندوة، لما اجتمعت قريش للمشاورة في مواجعتهم لدعوة النبي صلى الله عليه وآله قال هذا الرجل: لا بدّ أن ننتظر حتى يموت لأنه شاعر ويموت كسائر شعراء العرب، فنزل الآيات ردّاً عليه وعليهم.

(... إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ...)^١.

(... إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً)^٢.

المقصود من الآية الأولى، أنّ تسمية الأصنام بأنّها آلهة أو أنّها بنات الله، لا معنى لها فإنّها تسميات أُطلقت على جمادات، والمراد من الثانية أنّ تسمية الملائكة اناثا وبنات الله أسماء بلا مسميات ولا واقع لها.

(كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي)^٣.

(فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي)^٤.

انّ عذاب قوم عاد كان أشدّ بالقياس الى عذاب أقوام آخرين فلتعظيم ذلك العذاب ولتخويف المشافهين من الكفار جاء به عندما تكلم عن قوم عاد اولاً وعندالختام ثانياً.

(وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ)^٥.

قد صرّح بكلمة «الميزان» في هذه الآيات ولم يضمّر لأنّ المراد منها ليس معنى واحد.

فالمقصود من الأولى هو آلة الوزن المعروفة، والمقصود من الثانية بمعنى المصدر هو الوزن أو العدل أي يعطى كلّ مستحقّ حقه ولا تطغوا في الميزان، والمقصود من الثالث هو المفعول منه وهو الموزون

^١ - سورة النجم، آية ٢٣ .

^٢ - سورة النجم، آية ٢٨ .

^٣ - سورة القمر، آية ١٨ .

^٤ - سورة القمر، آية ٢١ .

^٥ - سورة الرحمن، آيات ٧ الى ٩ .

أى لا تنقصوا الموزون.

(فبأى آلاء ربكما تكذبان).

قد تكرر فى سورة الرحمن ٣١ مرة وما يمكن ان نقول فى وجه ذلك ملحظاً هو ان كل آية وقعت بعد نعمة.

قال الطبرسى فى تفسيره:

«فأما الوجه لتكرار هذه الآية فى هذه السورة، فإنما هو التقرير بالنعمة المعدودة والتأكيد فى التذكير بها، فكلما ذكر سبحانه نعمة أنعم بها قرر عليها ويخ على التكذيب بها كما يقول الرجل لغيره، أما أحسنت إليك حين اطلقت لك مالاً؟ أما أحسنت إليك حين ملكت عقاراً، أما أحسنت إليك حين بنيت لك داراً؟ فيحسن فيه التكرار لاختلاف ما يقرره به ومثله كثير من كلام العرب واشعارهم»^١.

وقال الرازى كلاماً مفصلاً نقلنا بطوله:

«ما لحكمة فى تكرير هذه الآية وكونه إحدى وثلاثين مرة؟ نقول الجواب عنه من وجوه (الأول) إن فائدة التكرير التقرير وأما هذا العدد الخاص فالأعداد توقيفية لا تطلع على تقدير المقدرات أذهان الناس والاولى أن لا يبالغ الإنسان فى استخراج الأمور البعيدة فى كلام الله تعالى تمسكا بقول عمر رضى الله تعالى عنه حيث قال مع نفسه عند قراءة سورة عبس كل هذا قد عرفناه فما الأب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكليف وما عليك يا عمر أن لا تدري ما الأب ثم قال اتبعوا ما بين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه وسيأتى فائدة كلامه تعالى فى تفسير السورة إن شاء الله تعالى (الجواب الثانى) ما قلناه إنه تعالى ذكر فى السورة المتقدمة «فكيف كان عذابى ونذر» أربع مرأت لبيان ما فى ذلك من المعنى وثلاث مرات للتقرير والتكرير وللثلاث والسبع من بين الأعداد فوائد ذكرناها فى قوله تعالى «والبحر يمدده من بعده سبعة أبحر» فلما ذكر العذاب ثلاث مرات ذكر الآلاء إحدى وثلاثين مرة لبيان ما فيه من المعنى وثلاثين مرة للتقرير الآلاء مذكورة عشر مرأت أضعاف مرأت ذكر العذاب إشارة إلى معنى قوله تعالى «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة

^١ - تفسير مجمع البيان، ج ٩، ص ٣٣٢.

فلا يجزى إلا مثلها»، (الثالث) إن الثلاثين مرةً تكرير بعد البيان في المرة الأولى لأن الخطاب مع الجن والإنس، والنعم منحصرة في دفع المكروه وتحصيل المقصود، لكن أعظم المكروهات عذاب جهنم «ولها سبعة أبواب» وأتم المقاصد نعيم الجنة ولها ثمانية أبواب بإغلاق الأبواب السبعة وفتح الأبواب الثمانية جميعه نعمة وإكرام، فاذا اعتبرت تلك النعم بالنسبة إلى جنسى، الجن والإنس تبلغ ثلاثين مرةً وهى مرأت التكرير للتقرير، والمرة الأولى لبيان فائدة الكلام، وهذا منقول وهو ضعيف. لأن الله تعالى ذكر نعم الدنيا والآخرة، وما ذكره اقتصار على بيان نعم الآخرة (الرابع) هو أن أبواب النار سبعة والله تعالى ذكر سبع آيات تتعلق بالتنخيف من النار، من قوله تعالى «سنفرغ لكم أيها الثقلان» إلى قوله تعالى «يطوفون بينها وبين حميم آن» ثم إنه تعالى ذكر بعد ذلك جنتين حيث قال «ولمن خاف مقام ربه جنتان» ولكل جنة ثمانية أبواب تفتح كلها للمتقين، وذكر من أول السورة إلى ما ذكرنا من آيات التنخيف ثمانى مرأت «بأى آلاء ربكما تكذبان» سبع مرأت للتقرير بالتكرير استيفاء للعدد الكثير الذى هو سبعة، وقد بينا سبب اختصاصه فى قوله تعالى «سبعة أبحر» وسنعيد منه طرفاً إن شاء الله تعالى، فصار المجموع ثلاثين مرةً المرة الواحدة التى هى عقيب النعم الكثيرة لبيان المعنى وهو الأصل والتكثير تكرر فصار إحدى وثلاثين مرةً^١.

(فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ)^٢.

جاءت جملة أصحاب الميمنة وكذا اصحاب اليمين فى آية ٢٨، وهم الذين يعطون كتابهم بإيمانهم فهم أصحاب اليمن والبركة، لبيان توضيح وتفسير وبيان ثوابهم ثم تكررهما تفخيماً لشأنهم أى شى هم؟ فهى كما قال الطبرسى فى تفسيره مجمع البيان مثل ان تقول: هم ما هم؟

(وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ)^٣.

أيضاً تكرر أصحاب المشأمة وكذا اصحاب الشمال فى آية ٤٢، وهم الذين يعطون كتبهم بشمالهم،

^١ - تفسير الكبير، ج ٢٩، ص ٩٧ .

^٢ - سورة الواقعة، آية ٨ .

^٣ - سورة الواقعة، آية ٩ .

لتفخيم شأنهم في العذاب.

(وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ)¹.

يكون معنى هذه الآية: أن السابقون إلى اتباع الأنبياء فهم السابقون إلى جزييل الثواب أو هم السابقون إلى طاعه الله تعالى أو هم السابقون إلى رحمته.

فيكون الثاني خبراً عن الأول أو تأكيدا له.

قال صاحب الميزان في تفسيره:

«فالمراد بالسابقين (الأول) في الآية، السابقون بالخيرات من الأعمال واذاسبقوا بالخيرات، سبقوا إلى المغفرة والرحمة التي بازائها، كما قال تعالى «سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة»²، فإ السابقون بالخيرات هم السابقون بالرحمة وهو قوله (السابقون السابقون)³.

(سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)⁴.

(سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)⁵.

(سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)⁶.

(يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)⁷.

(يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)⁸.

(سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى)⁹.

¹ - سورة الواقعة، آية ١٠.

² - سورة الحديد، آية ٢١.

³ - تفسير الميزان، ج ١٩، ص ١٢١.

⁴ - سورة الحديد، آية ١.

⁵ - سورة الحشر، آية ١.

⁶ - سورة الصف، آية ١.

⁷ - سورة الجمعة، آية ١.

⁸ - سورة التغابن، آية ١.

⁹ - سورة الاعلى، آية ١.

هذه الآيات بملاحظة سياقها جاءت في ضمن أوصاف الله تبارك وتعالى فلم يعد تكراراً وقد فسر كثير من المفسرين هذه الآيات بملاحظة سياقها.

قال الطبرسي في تفسيره لآية سورة الصف:

«أما أعيد ههنا، لأنه استفتاح السورة بتعظيم الله من جهة ما سبّح له بالآية التي فيه كما يستفتح بيسم الله الرحمن الرحيم، وإذا دخل المعنى في تعظيم الله، حسن الاستفتاح به»^١.

وقال في تفسير سورة الجمعة:

«أما قال مرة سيح ومرة يسبح إشارة إلى دوام تنزيهه في الماضي والمستقبل»^٢.

وقال صاحب الميزان في سورة الحشر:

«أما افتتح بالتنزيه لما وقع في السورة من الإشارة إلى خيانة اليهود ونقضهم العهد ثم وعد المنافقين لهم بالنصر غدراً»^٣.

وقال في تفسيره لآية الصف:

«افتتاح الكلام بالتسبيح لما فيها من توبيخ المونين بقولهم «مالا تفعلون» وانذارهم بمقت الله وازاغته قلوب الفاسقين»^٤.

وقال في تفسيره لآية التغابن:

«وإذا كانت الآيات مسوقة لإثبات المعاد، كانت الآية كالمقدمة الأولى لإثباته، وتفيد أن الله منزّه عن كل نقص وشين في ذاته وصفاته وأفعاله يلمك الحكم على كل شئ واللتصرف فيه كيفما شاء وأراد...»^٥.

وقال تاج القراء في كتابه البرهان في توجيه متشابه القرآن:

^١ - تفسير مجمع البيان، ج ٩، ص ٤٦٠.

^٢ - المصدر، ج ١٠، ص ٦.

^٣ - تفسير الميزان، ج ١٩، ص ٢٠٩.

^٤ - المصدر، ج ١٩، ص ٢٥٨.

^٥ - المصدر، ج ١٩، ص ٣٠٨.

«التسبيح كلمة استأثر الله بها فبدء بالمصدر فى بنىاسرائيل، لأنّه الأصل، ثمّ بالماضى فى الحديد والحشر، لأنّه اسبق الزمانين، ثمّ بالمضارع فى الجمعة والتغابن، ثمّ بالأمر فى الأعلى استيعاباً بهذه الكلمة فى جميع جهاتها^١.

(وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ...)^٢.

(مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِللَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى...)^٣.

نزلت الآية الأولى فى بيان الفئ وحكمه والثانية نزلت فى بيان مصرفه ولذلك لم يدخل على الثانية «واو» لأنها بيان للجمله الأولى، فهى غير اجنبية عنها ولا يحتاج الى العطف وقيل ان الآية الاولى فى بيان أموال بنى النضير خاصة وذلك بشهادة «منهم» والثانية فى بيان كل مال اصيب بغير قتال.

(قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ...)^٤.

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْكَمِيدُ)^٥.

نزلت الآية الأولى فى ابراهيم عليه السلام والثانية فى رسول الله صلى الله عليه وآله أو ان الآيتين نزلتا فى ابراهيم عليه السلام فى الأولى أنه اسوة من جهة وفى الآية الثانية أنه اسوة من جهة أخرى.

قال صاحب مجمع البيان:

«إنما أعاد ذكر الاسوة، لأنّ الثانى منعقد بغير ما انعقد به الأوّل، فان الثانى فيه بيان ان الاسوة فيهم كان لرجاء ثواب الله وحسن المنقلب اليه، والأوّل فيه بيان ان الاسوة فى معادات الكفار»^٦.

وقال صاحب الميزان:

^١ - رقم، ٥٠٢ .

^٢ - سورة الحشر، آية ٦ .

^٣ - سورة الحشر، آية ٧ .

^٤ - سورة الممتحنة، آية ٤ .

^٥ - سورة الممتحنة، آية ٦ .

^٦ - تفسير مجمع البيان، ج ٩، ص ٤٤٩ .

«تكرار حديث الاسوء لتأكيد الإيجاب ولبيان ان هذه الاسوء لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، وأيضاً أنهم كما يتأسى بهم في تبريهم من الكفار، كذلك يتأسى بهم في دعائهم وابتهاهم»^١.
(الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ)^٢.

(ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ)^٣.
الآيتان نزلتا في الأمر برجوع البصر كرة بعد كرة يعنى مرتين أو ثلاث مرات أو مرّة وهذا لا يعد تكراراً.

(... فَأَقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ... فَأَقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ...)^٤.

مع ان كثير من المفسرين مثل العلامة الطباطبائي والفخر الرازي وغيرهم حملوا العبارة على التكرار تأكيداً ولكن الذي نقوله ان الاولي نزلت تخفيفاً لحكم سابق وهو وجوب قيام الليل نصفه أو أكثر أو أقل منه، فجعل الله التلاوة بدل عسرهم من القيام في الليل.

والثانية وان كانت تفريغاً على ما سبق عليها ولكن وجوب قراءة القرآن أمر في جنب ساير الأمور من وجوب الصلوة واعطاء الزكاة والقرض الحسن.

(إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَفَتَلَّ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ)^٥.

تكرر «قدر» ثلاث مرّاه، وذلك ان الوليد الذي هو سب نزول هذه الآيات، فكر في محمّد صلى الله عليه وآله وقرآنه وقدر ما يمكنه ان يقول فيهما، فقتل كيف قدر في رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قتل كيف قدر في القرآن.

قال صاحب مجمع البيان في تفسير «ثم قتل كيف قدر»:

^١ - تفسير الميزان، ج ١٩، ص ٢٤٢.

^٢ - سورة الملك، آية ٣.

^٣ - سورة الملك، آية ٤.

^٤ - سورة المزمل، آية ٢٠.

^٥ - سورة المدثر، آيات ١٨ الى ٢٠.

«هذا تكرير للتأكيد، وقيل معناه: كيف قدر في آياتنا ما قدر مع وضوح الحجة، ثم لعن وعوقب بعقاب آخر، كيف قدر في ابطال الحق تقديراً آخر، وقيل معناه: عوقب في الآخرة مرة بعد مرة»^١.
وقال الطباطبائي: «فقتل كيف قدر تكرار للدعاء تأكيداً»^٢.
وقال الرازي في تفسيره:

«المقصود من كلمه «ثم» ههنا الدلالة على انّ الدعا عليه في الكرة الثانية ابلغ من الأولى»^٣.
ما قاله الطبرسي والطباطبائي التزام بالتكرار وما قال الرازي هو ما استفاد من سياق الدعاء ههنا وهو ما اختاره الكرمانى فى كتابه «البرهان» وهو وجه وجيه.

(كَأَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ)^٤.

(كَأَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ)^٥.

الضمير فى «أنه» فى الآية الأولى يرجع الى القرآن فالقرآن هو تذكرة، والضمير الموت «أنها» فى آية عبس يرجع الى آياته أى آيات القرآن أو يرجع الى السورة.

(أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ)^٦.

(تُمْ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ)^٧.

قد هدد رسول الله صلى الله عليه وآله أبي جهل وقال «أولى لك فأولى، ثم أولى لك فأولى» واعترضه أبو جهل ثم نزلنا الآيتان مثل ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله . وأما التكرار فى التهديد فهو تهديد ثانى ولا يعد من التكرار بل معناه وعيد على وعيد وعذاب على عذاب، قال قتادة فى تفسير هذا التهديد: ومعناه: وليك الشرفى الدنيا وليك، ثم وليك الشرفى الآخرة وليك، وقيل معناه: بعداً لك

^١ - تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ١٨٠ .

^٢ - تفسير الميزان، ج ٢٠، ص ٩٤ .

^٣ - تفسير الكبير، ج ٣٠، ص ٢٠١ .

^٤ - سورة المدثر، آيتى ٥٤ و ٥٥ .

^٥ - سورة عبس، آيتى ١١ و ١٢ .

^٦ - سورة القيمة، آية ٣٤ .

^٧ - سورة القيمة، آية ٣٥ .

من خيرات الدنيا وبعداً لك من خيرات الآخرة، وقيل انّ الأولى ماوقع على أبيضه وهو سبب نزول الآيتين، فى يوم بدر والثانية ماوقع عليه فى القبر، وقيل ان الأولى بمعنى الموت والثانية بمعنى عذاب القبر.

(كَلَّا سَيَعْلَمُونَ)¹.

(ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ)².

قال تاج القراء فى كتابه:

«قيل: التكرار للتأكيد، وقيل الأوّل عند النزاع، والثانى فى القيمة، وقيل: الأوّل: ردع عن الاختلاف، والثانى: ردع عن الكفر»³.

قال الطبرسى فى تفسيره مجمع البيان:

«هذا وعيد على اثر وعيد. وقيل: كلاً أى حقاً سيعلمون أى: سيعلم الكفار عاقبة تكذيبهم وسيعلم المؤمنون عاقبة تصديقهم عن الضحاك، وقيل كلاً سيعلمون ما ينالهم يوم القيامة، ثم كلاً سيعلمون ما ينالهم فى جهنم من العذاب فعلى هذا لا يكون تكراراً»⁴.

فالتأكيد هو أحد الوجهين فى الآية، مع انّ التكرار فى الوعيد لا يسمى تكراراً بل هو وعيد على وعيد.

(وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ)⁵.

(ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ)⁶

تكررت الآية تأكيداً لتعظيم وتفخيم شأن القيمة وقد قيل انّ أحدهما نزلت فى المؤمنين وأهل الجنة

¹- سورة النبأ، آية ٤ .

²- سورة النبأ، آية ٥ .

³- البرهان فى توجيه متشابه القرآن، رقم ٥٤٦ .

⁴- تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٣٩ .

⁵- سورة الانفطار، آية ١٧ .

⁶- سورة انفطار، آية ١٨ .

منهم وأراد بها النعم الباقية في الجنة لهم، ونزلت الثانية في الكفار وأهل النار منهم وأراد بها العذاب والنار الخالدة لهم.

قال الطبرسي في تفسيره:

«ثمَّ عظم سبحانه يوم القيمة فقال: «وما ادراك ما يوم الدين» تعظيماً له لشدته وتنبئها على عظم حاله وكثرة أهواله، «ثمَّ ما ادريك ما يوم الدين» كرهه تأكيداً لذلك، وقيل: أراد ما أدراك ما في يوم الدين من النعيم لأهل الجنة وما أدريك ما في يوم الدين من العذاب لأهل النار»^١.

(وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ)^٢.

(وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ)^٣.

نزلت الآية الأولى وصفاً للسماء وهي متصلة بـ «إذا السماء انشقت» ونزلت الآية الثانية وصفاً للأرض وكانت متصلة بـ «واذ الأرض مدت والقت مافيها وتخلت».

(بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ)^٤.

(بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ)^٥.

نزلت الآية الأولى في بيان تكذيب الكفار بعد ان ذكر الدلائل الواضحة الموجبة للإيمان وتكذيبهم هذا تقليداً منهم لأبائهم أو خبثهم الباطني ونزلت الثانية في بيان حال قوم ثمود وهي من الأقوام القديمة وقصتهم عند العرب مشهورة، وحال قوم فرعون وهي من الأقوام المتأخرة، كأصحاب الاخدود، فهؤلاء آذوا المؤمنين بكل أنواع الأذى وهذا أي ايداء الكفار للمؤمنين مستمر في جميع الأزمنة في الأولين والآخرين الى ان تظهر شمس الهداية بظهور الحجة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه.

(كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا)^١.

^١ - تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٨٨.

^٢ - سورة الانشقاق، آية ٢.

^٣ - سورة الانشقاق، آية ٥.

^٤ - سورة الانشقاق، آية ٢٢.

^٥ - سورة البروج، آية ١٩.

أى دكاً بعد دك فكرر الدك على الأرض حتى صارت هباءً منثوراً ومعناه كسر كل شئ على وجه الأرض من الجبال والأشجار وغيرها.
(وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) ٢.

أى تنزل الملائكة فى كل سماء وأهل السماء كلهم فى صف على حدة فيصطفون صفاً بعد صف.
(لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ) ٣.

تكرار «البلد» فى الآية الثانية عوضاً عن الضمير، لبيان عظمة شأن البلد الحرام والاعتناء به.
قال الطبرسى فى تفسيره:

«اجمع المفسرون على ان هذا قسم بالبلد الحرام وهو مكة... «وانت حل بهذا البلد...» تنبيه على شرف البلد، بشرف من حل به من الرسول الداعى الى توحيده واخلاص عبادته وبيان ان تعظيمه له وقسمه به لأجله صلى الله عليه وآله ولكونه حالاً فيه كما سميت المدينة طيبة لأنها طابت به حياً وميتاً» ٤.

(فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) ٥.

(إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) ٦.

نزلت الآية الأولى فى تعبير المشركين حيث كانوا يعيرون رسول الله صلى الله عليه وآله بالفقر والضيقة فذكره ما أنعم به عليه من النعم ثم قال تقریباً على هذا «فان مع العسر يسرا»
والآية الثانية هى كلام كلى، وكلام مستأنف.

قال الطبرسى فى تفسير هاتين الآيتين كلاماً مفصلاً لا يخلو ذكره من لطف.

١- سورة الفجر، آية ٢١ .

٢- سورة الفجر، آية ٢٢ .

٣- سورة البلد، آيتى ١ و ٢ .

٤- تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٦١ .

٥- سورة الانشراح، آية ٥ .

٦- سورة الأنشراح، آية ٦ .

«روى عطاء عن ابن عباس قال: يقول الله تعالى: «خلقت عسراً واحداً، وخلقت يسرين، فلن يغلب عسر يسرين». وعن الحسن قال: خرج النبي صلى الله عليه وآله يوماً مسروراً فرحاً، وهو يضحك، ويقول: «لن يغلب عسر يسرين»؛ «فإن مع العسر يسراً إنَّ مع العسر يسراً». قال الفراء: إنَّ العرب تقول: إذا ذكرت نكرة، ثمَّ أعدتها نكرةً مثلها، صارتا اثنتين، كقولك إذا كسبت درهماً فأنفق درهماً، فالثاني غير الأول، فإذا أعدتها معرفةً فهي هي كقولك إذا كسبت الدرهم فأنفق الدرهم، فالثاني هو الأول، ونحو هذا ما قال الزجاج: إنَّه ذكر العسر مع الألف واللام، ثمَّ ثنى ذكره، فصار المعنى إنَّ مع العسر يسرين.

وقال صاحب كتاب النظم فى تفسير هذه الآية إنَّ الله بعث نبيّه، وهو مقل مخف، وكانت قريش تعيره بذلك حتّى قالوا له: إنَّ كان بك من هذا القول الذى تدعيه طلب الغنى، جمعنا لك مالاً حتّى تكون كأيسر أهل مكة. فكره النبي صلى الله عليه وآله ذلك، وظن أن قومه إنَّما يكذبوه لفقره، فوعده الله سبحانه الغنى ليسليه بذلك، عما خامره من الهم، فقال: «فإنَّ مع العسر يسراً» وتأويله: لا يحزنك ما يقولون، وما أنت فيه من الإقلال، فإنَّ مع العسر يسراً فى الدنيا عاجلاً. ثمَّ أنجز ما وعده فلم يمت حتّى فتح عليه الحجاز. وما والاها من القرى العربية، وعامة بلاد اليمين. فكان يعطى المائتين من الإبل، ويهب الهبات السنية، ويعد لأهله قوت سنته. ثمَّ ابتدأ فصلاً آخر فقال: «إنَّ مع العسر يسراً» والدليل على ابتدائه تعريه من فاء وواو، وهو وعد لجميع المؤمنين، لأنَّه يعنى بذلك أن مع العسر فى الدنيا للمؤمن يسراً فى الآخرة، وربما اجتمع له اليسران: يسر الدنيا، وهو ما ذكر فى الآية الأولى، ويسر الآخرة، وهو ما ذكر فى الآية الثانية. فقوله صلى الله عليه وآله: لن يغلب عسر يسرين أى: يسر الدنيا والآخرة. فالعسر بين يسرين إما فرج الدنيا، وإما ثواب الآخرة. وهذا الذى ذكره الجرجاني، يؤد ما ذهب إليه المرتضى، قدس الله روحه، من أن القائل إذا قال شيئاً، ثمَّ كرّره، فإنَّ الظاهر من تغاير الكلامين، تغاير مقتضاهما، حتّى يكون كل واحد منهما، مفيداً لما لا يفيد الآخر، فيجب مع الإطلاق حمل الثانى على غير مقتضى الأول، إلا إذا كان بين المتخاطبين عهد أو دلالة يعلم المخاطب بذلك،

أن المخاطب أراد بكلامه الثاني الأول، فيحمله على ذلك»^١.
وذكر الرازي في تفسيره كلاماً لا يخلو من الاضطراب، فهو حَقَّق المسئلة في وجهين وقال الوجه
الثاني منها أنه تكرير لكى يتمكن المعنى في النفوس ثم تمسك بمعنيين مختلفين لليسر، واليك نص
كلامه:

«المسألة الثانية: قال ابن عباس: يقول الله تعالى: خلقت عسراً واحداً بين يسرين، فلن يغلب عسر
يسرين، وروى مقاتل عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: «لن يغلب عسر يسرين» وقرأ هذه
الآية، وفي تقرير هذا المعنى وجهان الأول: قال الفراء والزجاج: العسر مذکور بالألف واللام، وليس
هناك معهود سابق فينصرف إلى الحقيقة، فيكون المراد بالعسر في اللفظين شيئاً واحداً. وأما اليسر
فإنه مذکور على سبيل التنكير، فكان أحدهما غير الآخر، وزيف الجرجاني هذا وقال: إذا قال الرجل:
إنَّ مع الفارس سيفاً، إنَّ مع الفارس سيفاً، يلزم أن يكون هناك فارس واحد ومعه سيفان، ومعلوم أن
ذلك غير لازم من وضع العربية، الوجه الثاني: أن تكون الجملة الثانية تكريراً للأولى، كما كرر
قوله: «ويل يومئذ للمكذبين»^٢. ويكون الغرض تقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب، كما
يكرر المفرد في قولك: جاءني زيد زيد، والمراد من اليسرين: يسر الدنيا وهو ما تيسر من استفتاح
البلاد، ويسر الآخرة وهو ثواب الجنة، لقوله تعالى: «هل تربصون بنا إلاَّ إحدى الحسنين»^٣ وهما
حسن الظفر وحسن الثواب، فالمراد من قوله: «لن يغلب عسر يسرين» هذا، وذلك لأنَّ عسر الدنيا
بالنسبة إلى يسر الدنيا ويسر الآخرة كالمغمور القليل»^٤.

^١ - تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٩٠.

^٢ - سورة المطففين، آية ١٠.

^٣ - سورة التوبة، آية ٥٢.

^٤ - تفسير الكبير، ج ٣٢، ص ٧.

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)¹.

(اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ)².

الآية الأولى بمعنى: اقرء مفتوحاً باسم ربك فقل مثلاً بسم الله الرحمن الرحيم وأقرأ القرآن أو أقرأ وأجعل فعلك وهو القراءة لله تعالى وافعله له لا لغيره.

والآية الثانية بمعنى أقرأ له والله تعالى أكرم من ان لا يعطيك ما يخطر ببالك، وقال الطبرسي نقلاً عن الجبائي:

«وقيل: امره في الأول بالقراءة لنفسه وفي الثاني بالقراءة للتبليغ وليس بتكرار»³.

وقال الرازي قولان آخران وهو:

«... أقرأ ... أولاً للتعلم من جبرئيل والثاني للتعليم، أو أقرأ في صلاتك والثاني خارج عن صلاتك»⁴.

(كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ)⁵.

(ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ)⁶.

نزلت الآيتان للوعيد بعد وعيد فلا يعد تكراراً وقيل نزلت الأولى في القبر ونزلت الثانية في القيمة، أو نزلت الأولى للكفار والثانية للمؤمنين فالأولى كانت وعيداً والثانية كانت وعداً للمؤمنين.

قال الخطيب الاسكافي:

«ان أحدهما توعد غير ما توعد به الآخر، فالأول توعد بما ينالهم في الدنيا والثاني توعد بما أعد لهم في الأخرى، وقيل الاول ما يلقونه عند الفراق اذا بشروا بالمصير الى النار، والثاني ما يروونه من عذاب

¹- سورة العلق، آية ١ .

²- سورة العلق، آية ٣ .

³- تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٩٩ .

⁴- تفسير الكبير، ج ٣٢، ص ١٧ .

⁵- سورة التكاثر، آية ٣ .

⁶- سورة التكاثر، آية ٤ .

القبر، فكلاهما عذاب في الدنيا، إلا أن أحدهما غير الآخر وهو مثله في الشدة، فلذلك اعيد بتلك اللفظة، وإذا حمل عذاب الدنيا وعذاب الآخرة لم يكن تكراراً^١.

وقال الطبرسي في تفسيره:

«ثم أكد ذلك (الوعد) وكرره فقال: «ثم كلاً سوف تعلمون» قال الحسن ومقاتل هو وعيد بعد وعيد، والمعنى سوف تعلمون عاقبة تباهيكم وتكاثركم، إذا نزل بكم الموت، وقيل: معناه سوف تعلمون في القبر، ثم سوف تعلمون في الحشر رواه زرّ بن حبيش عن علي عليه السلام^٢.

وفي تكرار «كلاً» نقول أنه عقبه في كل موضع بغير ما عقب به في الموضع الآخر وهذا ليس بتكرير. (لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ)^٣.

(ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ)^٤.

نزلت الآية الأولى للروية من مكان بعيد، والثانية من مكان قريب إذا صاروا الى شفير جحيم، أو نزلت الاولى عندالورود في الجحيم، والثانية عندالدخول فيها، أو نزلت الأولى بيانا للوعد، ونزلت الثانية عند مشاهدة الجحيم أو نزلت لروتها مرة بعد أخرى، أو نزلت الأولى في روتها قبل يوم القيمة، ونزلت الثانية في روتها يوم القيمة وهو وجه جيد.

قال الطبرسي في تفسيره وجه آخر وهو أجود.

«ثم استأنف سبحانه وعيداً آخر فقال «لترون الجحيم» على نية القسم عن مقاتل، يعنى حين تبرز الجحيم في القيمة قبل دخولهم اليها، «ثم لترونها» يعنى بعد الدخول اليها «عين اليقين» كما يقال حق اليقين ومحض اليقين ومعناه: ثم لترونها بالمشاهدة إذا دخلتموها وعذبتهم بها^٥.

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا

^١ - درة التنزيل، ص ٥٣٥.

^٢ - تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٣٢.

^٣ - سورة التكاثر، آية ٦.

^٤ - سورة التكاثر، آية ٧.

^٥ - تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٣٢.

أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَّا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ

قد مرَّ البحث عن سبب التكرار في مواضع مختلفة من هذه السورة فلاحاجة لاعادتها هنا ولكن ننقل ما قاله الطبرسي في تفسيره عن سبب التكرار.

«ولا أنتم عابدون ما أعبد» فيما بعد اليوم من الأوقات المستقبلية، عن ابن عباس ومقاتل. قال الزجاج: نفى رسول الله صلى الله عليه وآله بهذه السورة عبادة آلهتهم عن نفسه في الحال، وفيما يستقبل. ونفى عنهم عبادة الله في الحال، وفيما يستقبل. وهذا في قوم أعلمه الله سبحانه أنهم لا يؤنون، كقوله سبحانه في قصة نوح عليه السلام «إنه لن يؤن من قومك إلا من قد آمن». وقيل أيضاً في وجه التكرار: إن القرآن نزل بلغة العرب، ومن عاداتهم تكرير الكلام للتأكيد والإفهام، فيقول المجيب: بلى، بلى. ويقول الممتنع: لا، لا، عن الفراء، قال: ومثله قوله تعالى: «كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون».

وقال: وهذا أولى المواضع بالتأكيد، لأن الكافرين أبدوا في ذلك، وأعادوا. فكرر سبحانه ليؤد إياهم وحسم أطماعهم بالتكرير. وقيل أيضاً في ذلك: إن المعنى لا أعبد الأصنام التي تعبدونها، ولا أنتم عابدون الله الذي أنا عابده، إذا أشركتم به، واتخذتم الأصنام وغيرها تعبدونها من دونه. وإنما يعبد الله من أخلص العبادة له، ولا أنا عابد ما عبدتم أي: لا أعبد عبادتكم فيكون ما مصدرية. ولا أنتم عابدون ما أعبد أي: وما تعبدون عبادتي على نحو ما ذكرناه. فأراد في الأول المعبود، وفي الثاني العبادة. فإن قيل: أما اختلاف المعبودين فمعلوم، فما معنى اختلاف العبادة؟ قلنا: إنه يعبد الله على وجه الإخلاص، وهم يشركون به في عبادته، فاختلفت العبادتان. ولأنه كان يتقرب بعبادته إلى معبوده بالأفعال المشروعة الواقعة على وجه العبادة، وهم لا يفعلون ذلك، وإنما يتقربون إليه بأفعال يعتقدونها قربة جهلاً من غير شرع¹.

وقال الرازي:

المسألة الأولى: في هذه الآية قولان: أحدهما: أنه لا تكرر فيها والثاني: أن فيها تكراراً، أمّا الأول:

¹ - تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٦٤.

فتقريره من وجوه أحدها: أن الأول للمستقبل، والثاني للحال والدليل على أن الأول للمستقبل أن لا تدخل إلا على مضارع فى معنى الاستقبال، أن ترى أن لن تأكيد فيما ينفيه لا، وقال الخليل فى لن أصله لا أن، إذا ثبت هذا فقوله: «لا أعبد ما تعبدون» أى لا أفعل فى المستقبل ما تطلبونه منى من عبادة آلهتكم ولا أنتم فاعلون فى المستقبل ما أطلبه منكم من عبادة إلهى، ثم قال: «ولا أنا عابد ما عبدتم» أى ولست فى الحال بعابد معبودكم ولا أنتم فى الحال بعابدين لمعبودى، الوجه الثانى: أن تقلب الأمر فتجعل الأول للحال والثانى للاستقبال والدليل على أن قول: «ولا أنا عابد ما عبدتم» للاستقبال أنه رفع لمفهوم قولنا: أنا عابد ما عبدتم ولا شك أن هذا للاستقبال بدليل أنه لو قال: أنا قاتل زيدا فهم منه الاستقبال، الوجه الثالث: قال بعضهم: كل واحد منهما يصلح للحال وللإستقبال، ولكننا نخص إحداها بالحال، والثانى بالاستقبال دفعا للتكرار، فإن قلنا: إنه أخبر عن الحال، ثم عن الإستقبال، فهو الترتيب، وإن قلنا: أخبر أولا عن الإستقبال، فلا أنه هو الذى دعوه إليه، فهو الأهم فبدأ به، فإن قيل: ما فائدة الإخبار عن الحال وكان معلوماً أنه ما كان يعبد الصنم، وأما الكفار فكانوا يعبدون الله فى بعض الأحوال؟ قلنا: أما الحكاية عن نفسه فلئلا يتوهم الجاهل أنه يعبدها سرا خوفاً منها أو طمعا إليها وأما نفيه عبادتهم فلأن فعل الكافر ليس بعبادة أصلاً، الوجه الرابع وهو اختيار أئيمسلم أن المقصود من الأولين المعبود وما بمعنى الذى، فكأنه قال: لا أعبد الأصنام ولا تعبدون الله، وأما فى الأخيرين فما مع الفعل فى تأويل المصدر أى لا أعبد عبادتكم المبنية على الشرك وترك النظر، ولا أنتم تعبدون عبادتى المبنية على اليقين، فإن زعمتم أنكم تعبدون إلهى، كان ذلك باطلاً لأن العبادة فعل مأمور به وما تفعلونه أنتم فهو منهى عنه وغير مأمور به، الوجه الخامس: أن تحمل الأولى على نفي الاعتبار الذى ذكره، والثانية على النفي العام المتناول لجميع الجهات فكأنه أولاً قال لا أعبد ما تعبدون رجاء أن تعبدوا الله، ولا أنتم تعبدون الله رجاء أن أعبد أصنامكم، ثم قال: ولا أنا عابد صنمكم لغرض من الأغراض، ومقصود من المقاصد ألبتة بوجه من الوجوه ولا أنتم عابدون وما أعبد بوجه من الوجوه، واعتبار من الاعتبارات، ومثاله من يدعو غيره إلى الظلم لغرض التنعيم، فيقول: لا أظلم لغرض التنعم، بل لا أظلم أصلاً لا لهذا الغرض ولا لسائر الأغراض. القولى

الثاني: وهو أن نسلم حصول التكرار، وعلى هذا القول العذر عنه من ثلاثة أوجه، الأول: أن التكرير يفيد التوكيد وكلما كانت الحاجة إلى التأكيد أشد كان التكرير أحسن، ولا موضع أحوج إلى التأكيد من هذا الموضع، لأن أولئك الكفار رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا المعنى مراراً، وسكت رسول الله عن الجواب، فوقع في قلوبهم أنه عليه السلام قد مال إلى دينهم بعض الميل، فلا جرم دعت الحاجة إلى التأكيد والتكرير في هذا النفي والإبطال، الوجه الثاني: أنه كان القرآن ينزل شيئاً بعد شيء، وآية بعد آية جواباً عما يسألون فالمشركون قالوا: استلم بعد آلهتنا حتى نؤن بالهك فأنزل الله «ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد» ثم قالوا بعد مدة تعبد آلهتنا شهراً ونعبد إلهك شهراً فأنزل الله «ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد» ولما كان هذا الذي ذكرناه محتملاً لم يكن التكرار على هذا الوجه مضراً ألبتة، الوجه الثالث: أن الكفار ذكروا تلك الكلمة مرتين تعبد آلهتنا شهراً ونعبد إلهك شهراً وتعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فأتى الجواب على التكرير على وفق قولهم وهو ضرب من التهكم فإن من كرر الكلمة الواحدة لغرض فاسد يجازى بدفع تلك الكلمة على سبيل التكرار استخفافاً به واستحقاراً لقوله^١.

وأنت ترى أن الوجهين الأخيرين من الوجوه الثلاثة للقول الثاني وهو الالتزام بالتكرار في السورة يدلان على عدم التكرار في الآية، فإن نزول آيتين متماثلتين عقيب واقعتين وبيان كلام على نهج ما تكلم به السائل والمخاطب ليس بتكرار.

(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ)^٢.

الكلمة الأولى «تبت» كانت دعاءً والثانية «تب» كانت جزاءً وهذا القول مثل قول الرجل: أهلك الله وقد هلك، وقيل إن الأولى أيضاً خبر فأراد الله تعالى بالاولى هلاك عمله وبالثانية هلاك نفسه، وقيل إن الأولى وردت لهلاك ماله، والثانية لهلاك نفسه، أو الأولى في هلاك نفسه، والثانية في هلاك ولده.

^١ - تفسير الكبير، ج ٣٢، ص ١٤٦.

^٢ - سورة المسد، آية ١.

قال الرازى فى تبیین هذا الوجه الأخير:

«... روى ان عتبة بن أبيلهب خرج الى الشام مع أناس من قريش فلما هموا ان يرجعوا قال لهم عتبة: بلغوا محمداً عنى، انى قد كفرت بالنجم اذا هوى، وروى أنه قال ذلك فى وجه رسول الله وتفل فى وجهه، وكان مبالغاً فى عداوته، فقال: اللهم سلط عليه كلباً من كلابك، فوقع الرعب فى قلب عتبة وكان يحترز وهو مرعوب واناخ الإبل حوله كالسرادق، فسلط الله عليه الأسد والقى السكينة على الإبل فجعل الأسد يتخلل حتى افترسه ومزقه».

وقال الرازى:

«فإن قيل نزول هذه السورة كان قبل هذه الواقعة وقوله «وتب» أخبار عن الماضى، فكيف يحمل عليه؟ قلنا لأنه كان فى علمه تعالى ان ذلك سوف يحصل»^١.

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)^٢.

(اللَّهُ الصَّمَدُ)^٣.

تكرار اسم الجلالة بدلا عن الضمير لاستقلال كل جملة منهما حتى تكون كل جملة وحدها كافية فى تعريفه تعالى.

قال الرازى فى علة تكرير لفظه «الله» فى قوله «الله الصمد»:

«لو لم تكرر هذه اللفظة، لوجب فى لفظ «أحد» و «صمد» ان يردا أما نكرتين أو معرفتين، وقد بينا ان ذلك غير جائز، فلا جرم كررت هذه اللفظة حتى يذكر لفظ «أحد» منكرًا ولفظ «الصمد» معرفاً»^٤.
وقال فى وجه استحاله اتيان «أحد» و «الصمد» نكرتين أو معرفتين:

«الغالب على أكثر أوهام الخلق ان كل موجود محسوس، وثبت ان كل محسوس فهو منقسم، فاذا مالا يكون منقسماً لا يكون خاطراً بيان أكثر الخلق، أما الصمد فهو الذى يكون مضموداً إليه فى الحوائج

^١ - تفسير الكبير، ج ٣٢، ص ١٦٨ .

^٢ - سورة الاخلاص، آية ١ .

^٣ - سورة الاخلاص، آية ٢ .

^٤ - تفسير الكبير، ج ٣٢، ص ١٨٣ .

وهذا كان معلوماً للعرب بل لأكثر الخلق على ما قال: «وَلْتَن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنْتَى يُؤْفَكُونَ»^١.

وإذا كانت الاحدية مجهولة مستنكرة عند أكثر الخلق وكانت الصمدية معلومة الثبوت عند جمهور الخلق، لاجرم جاء لفظ «احد» على سبيل التنكير ولفظ «الصمد» على سبيل التعريف^٢.

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ مَا لَوْ سَأَسِ الْأَخْنَاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنْ أَجْنَةِ وَالنَّاسِ).

قد تكرر لفظه «الناس» خمس مرات في هذه السورة وبعد الاختلاف في مضافها لا يعد من التكرار مع أنه يمكن ان نقول المقصود من الأول الاجنة فالله يربهم، والمقصود من الثانى الأطفال فالله تعالى يملكهم، والمراد بالثالث المكلفون من الناس والله تعالى معبودهم والمراد بالرابع العلماء والشيطان يوسوسهم.

وقيل المراد بالأول الأطفال والله هو مربى الأطفال، والمراد بالثانى الشبان ويدل عليه لفظ «ملك» المنبئ عن السياسة، والمراد بالثالث الشيوخ ويدل عليه لفظه اله المنبئ عن العبارة، والمراد بالرابع الصالحون فالشيطان مجد في اغوائهم، والمراد بالخامس الأشرار لعطفه على المعوذ منهم^٣. وليست هذه الاقوال الا احتمالات ظنية لا تدل الا على الاستحسانات.

قال الرازى فى تفسيره:

«السبب فى تكرير لفظ «الناس» أنه أنما تكررت هذه الصفات لأن عطف البيان يحتاج الى مزيد الاظهار، ولأن هذا التكرير يقتضى مزيد شرف الناس، لأن سبحانه كأنه

^١ - سورة الزخرف، آية ٨٧ .

^٢ - تفسير الكبير، ج ٣٢، ص ١٨٢ .

^٣ - ارجع الى تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٩٧ وكتاب البرهان، رقم ٥٨٨ .

عرف ذاته بكونه رباً للنّاس، ملكاً للنّاس، الهأ للنّاس ولولا انّ النّاس اشرّ مخلوقاته لما ختم كتابه بتعريف ذاته بكونه ربّاً وملكاً والهأ لهم»^١.

^١ - تفسير الكبير، ج ٣٢، ص ١٩٨ .

المنابع والمصادر

- ابن القيم وحسّه البلاغى، عبدالفتاح لاشين، دارالرائد، بيروت، ١٤٠٢هـ
- البرهان فى توجيه متشابه القرآن، تاج الدين محمد بن حمزة الكرمانى، دارالفضيلة، بيروت.
- الاتقان فى علوم القرآن، جلال الدين سيوطى، دارالكتب العلميه، بيروت، مج ٢ ١٤٠٧هـ
- اسرار التقديم و التأخير فى لغة القرآن، محمود سيد شيخون، مكتبة الكتب الازهرية، القاهرة، ١٤٠٣هـ
- اسرار التكرار فى اللغة القرآن، محمد السيد شيخون، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة، ١٤٠٣هـ
- اسماء الله وصفاته، عمر سليمان عبدالله الاشقر، دارالنقاش، الاردن، ١٤١٨هـ
- اشارات الاعجاز، بديع الزمان سعيد النورسى، دارالأبناء، بغداد، ١٤٠٤هـ
- الاشباه والنظائر، مقاتل بن سليمان، حققه محمود شحاته، هيئت المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٥هـ
- الاشباه والنظائر، عبدالملك بن محمد الثعالبي، حققه محمد المصرى، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٤هـ
- الاعجاز القرآن، محمد عبدالكريم الخطيب، دارالفكر، بيروت، ١٩٧٤هـ
- اعجاز القرآن فى وجوه و اسراره، عبدالغنى محمد سعد البركة، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٩هـ
- اعجاز القرآن الكريم، فضل حسن و سناء فضل عباس، مكتب الوطنية، عمان ١٩٩١م.
- اعجاز القرآن الكريم، محمد بن حسن بن عقيل موسى، دارالاندلس الخضراء، جدة، ١٤١٧هـ
- اعجاز القرآن و بلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعى، دارالكتب العربى، بيروت، ١٣٩٣هـ
- الالهيات، جعفر السبحانى، المركز الاسلامى للدراسات الاسلاميه، قم مج ٢، ١٤١١هـ
- امالى مرتضى، الشريف المرتضى، تحقيق محمد بدرالدين النعسانى الحلبى، مكتبة المرعى، قم، ١٤٠٢هـ
- اهداف كل سورة و مقاصدها، عبدالله محمود شحاته، الهيئة المصرية، مصر، ١٩٨٦م.

- الاهداف الاعلامية فى القصة القرآنية، محمد ناجى مشرح، دارالمجتمع، بيروت، ١٤١٢ هـ
- الايجاز فى آيات الاعجاز، محمد ابن اليسر عابدين، دارالبشائر، دمشق، ١٤١٣ هـ
- الايجاز فى كلام العرب، مختار عطيه، دارالمعرفة الجامعية.
- براعة الاستهلال، محمد بدرى عبدالجليل، المكتب الاسلامى، بيروت، ١٤٠٥ هـ
- البرهان فى تناسب السور القرآن، احمد بن ابراهيم ثقفى، جامعة الزيتون، تونس، ١٤٠٨ هـ
- بلاغه القرآن فى ادب الرافعى، فتحى عبدالقادر فريد، دارالمنار، القاهرة.
- البيان فى اعجاز القرآن، صلاح الدين عبدالفتاح خالدى، دارالعمار، عمان، الاردن، ١٤٠٩ هـ
- الترتيب سورالقرآن، جلال الدين السيوطى، حقه سيد جميلى، مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٦ م.
- التصوير الفنى فى القرآن، سيد قطب، دارالشروق، القاهرة.
- تفسير الأضواء البيان، الجكنى الشنقيطى، عالم الكتب، بيروت، مج ١٠.
- تفسير الامثل، مكارم شيرازى، مؤسسه البعنه، بيروت، مج ٢٠، ١٤١٣ هـ
- تفسير البرهان، سيد هاشم حسينى البحرانى، البعنه، قم، مج ٥، ١٤١٧ هـ
- تفسير جامع البيان، ابن جرير طبرى، دارالمعرفة و دارالفكر، بيروت، مج ١٥، ١٤١٥ هـ
- تفسير جامع لاحكام القرآن، شمس الدين ابو محمد القرطبي، دارالغدالعربى، القاهرة، جز ٢٠، مج ١١، ١٤٠٨ هـ
- تفسير روح البيان، اسماعيل حقى البروسوى، دارالفكر، بيروت، مج ١٠، ط ٧، ١٤٠٥ هـ
- تفسير روض الجنان و روح الجنان، ابوالفتوح رازى، بنيادپژوهشهاى اسلامى، مشهد، مج ٢٠، ١٣٦٥ ش.
- تفسير فى ظلال القرآن، سيدقطب، دارالشروق، القاهرة، جزء ٣٠، مج ٦، ط ٢٧،
- ١٤١٩ هـ تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير، دارالفكر، بيروت، مج ٧، ١٤٠٣ هـ
- تفسير الكبير و مفاتيح الغيب، الفخر الرازى، دارالفكر، بيروت، جز ٣٢، مج ١٦، ١٤١٥ هـ
- تفسير الكشاف، جارالله زمخشرى، دارالكتب العلمية، بيروت، مج ٤، ١٤١٥ هـ

- تفسير كنز الدقائق، محمد قمي المشهدي، الطبع و النشر، طهران، مج ١١، ١٤١٣هـ
- تفسير محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، دارالفكر، بيروت، جز ١٠، مج ١٧، ١٣٩٨هـ
- تفسير المراغي، احمد مصطفى المراغي، دارالاحياء، بيروت، جز ٣٠، مج ١٠، ط ٢، ١٩٨٥م.
- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دارالمعرفة، بيروت، مج ١٢، ط ٢، ١٣٩٣هـ
- تفسير الميزان، محمد حسين طباطبايي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، مج ٢٠، ١٤١٧هـ؛
مؤسسة اسماعيليان، قم، ١٩٧٣م.
- تفسير مجمع البيان، امين الاسلام الطبرسي، مؤسسة الاعلمي، بيروت، مج ١٠، ١٤١٥هـ
- تفسير نورالتقلين، عبد علي بن جمعه العروسي الحويزي، مطبعة اسماعيليان، قم، مج ٥، ط ٤، ١٤١٥هـ
- التمهيد في علوم القرآن، استاذ محمد هادي معرفت، النشر الاسلامي، قم.
- تناسق الدرر في مناسبات السور، جلال الدين ابوبكر سيوطي، حققه الدرويش، دارالكتب العربي،
سوريه، ١٤٠٤هـ
- دراسة في اعجاز القرآن، عبدالقادر احمد عطا، دارالاعتصام، القاهرة.
- دراسات القرآنية، محمد قطب، دارالشروق، القاهرة و بيروت، ١٤٠٠هـ
- درّة التنزيل، الخطيب الاسكافي، دارالافاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩م.
- سيرة النبوية لابن هشام، حققها شبلي، سقا و ابياري، مطبعة مصطفى الباي، مصر، ١٩٣٦م؛ نشر
ايران، مطبعة مهر، ١٣٤٣ش.
- سيكولوجيه القصة في القرآن، التهامي نقره، جامعة الجزائر، ١٩٧١م.
- شرح اسماء الحُسنى، ابوحامد الغزالي، مكتبة الحديث، بغداد، ١٩٩٠م.
- ظواهر القرآنية، بدر اوى زهران، دارالمعارف، القاهرة، ١٩٩٣م.
- عجائب القرآن، فخرالدين رازي، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ
- علوم القرآن، سيد محمد باقر حكيم، منشورات مجمع العلمى الاسلامى، طهران، ط ٣، ١٤٠٣هـ
- علوم القرآن، عدنان محمد زرزور، مكتب الاسلامى، بيروت، ١٤٠١هـ

- فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، دارالمعرفة، بيروت، مج ١٤، ١٣٩٠هـ
- فكرة اعجاز القرآن، نعيم الحمصي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ
- القرآن دعوة الحق، محمد العفيفي، مطبعة العصرية، الكويت، ١٣٩٦هـ
- القصص القرآني في مفهومه و منطوقه، محمد عبدالكريم الخطيب، دارالمعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ
- قضايا القرآنية، فضل حسن عباس، دارالبشير، عمان، ١٤٠٨هـ
- قطوف من رياض القرآن، منصور محمد منصور، مطبعة الامانة، مصر، ١٤٠٥هـ
- كتاب التذكرة في القرائات، ابي الحسن طاهر بن عبدالمنعم، الزهراء، القاهرة، ١٤١٠هـ
- كنز المتشابهات، حافظ محمد محبوب، شمس الاسلام، حيدرآباد، ١٣٤٢هـ
- مباحث في علوم القرآن، مناع خليل قطان، مؤسس الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ
- المحذوفات، حاج محمد بن الحاج، مطابع سجل العرب، بغداد.
- مدارج السالكين، ابن القيم الجوزية، دارالحديث، القاهرة، مج ٣.
- المشترك اللفظي، عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ
- معالم التوحيد، جعفر سبحاني، جعفر الهادي، دارالكتب الاسلامية، طهران، ١٤٠٠هـ
- معتك الاقران في اعجاز القرآن، ابوبكر السيوطي، دارالعلمية، بيروت، مج ٣، ١٤٠٨هـ
- معجزات و عجائب من القرآن الكريم، محمد عبدالرحيم، دارالفكر، بيروت، ١٤١٥هـ
- المعجزه الخالده، حسن ضياءالدين عتر، مؤسسة فؤاد، بيروت، ١٤٠٩هـ
- المعجم المفهرس لالفاظ القرآن، محمد فؤاد عبدالباقي، دارالكتب، مصر، ١٣٦٤هـ
- المغني في أبواب التوحيد و العدل، قاضي أبي الحسن عبدالجبار، دارالعامه، الامارات العربية المتحدة، ١٣٨٠هـ
- ملاك التأويل، احمد بن ابراهيم زبير الثقفي، دارالغرب الاسلامي، بيروت، مج ٢، ١٤٠٣هـ
- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبدالعظيم الزرقاني، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، مج ٢، ١٤١٦هـ

من اعجاز البلاغى والعددى، ابو زهرا النجدى، الوكالة العالمية للتوزيع، دمشق، ١٤٠٧هـ
من بلاغة القرآن، احمد احمد بدوى، دارالنهضة الفجالة، القاهرة، ١٣٧٠هـ
نظم الدرر، برهان الدين ابن عمر البقاعى، دارالكتاب الاسلامى، القاهرة، مج ٢٢، ط ٢، ١٤١٣هـ
النبوة و الاعجاز، علاء الدين شمس الدين المدرس الكيلانى، دارالكتب العلمية، بغداد، ١٩٨٧م.
الوجوه والنظائر، حسين بن محمد الدامغانى، جامعة تبريز، مج ٢، ١٤١٢ و ١٤١٦هـ
الوجوه و النظائر، سلوى محمد العوار، دارالشروق، القاهرة، ١٤١٩هـ